ما نراه وما يرون

★ ★ ★

ما ابعد الشقة واوسع الهوة بين ما نراه وما يرون ، اما نحن فنرى انفسنا في صورة قشيبة زاهية ، نرى انفسنا وقد حملنا مشعل الحضارة مئات السنين كنا خلالها ارقى الشعوب علما واكثرها ثروة واحبها للادب والفنون . اما عامة الاوروبيين فلا يرون فينا الا اعرابا يسكنون الخيم ويرعون الماعز تطفلوا على الحضارة فترة من الزمن ثم تركوها دون ان يضيفوا الى صلبها شيئا مذكورا .

هل نحن يا ترى نبالغ في تقدير تراثنا العلمي ، هل نراه من وراء عدسة مكبرة فيبدو لنا عملاقا وهو قزم ، ام انهم هم الذين يقللون من شأنه لانهم لا يريدون لاحد سواهم ان يكون له حق الفخر في شيء يحق فيه الفخر

هذه هوة خطيرة يجب جسرها فهي تمنع التفاهم الصحيح بين الجانبين وان لم تمنعه جعلته على الاقل صعبا مؤلما . وجسرها هي الحقيقة ، الحقيقة العارية اذ يجب ان تكون لدينا الرغبة في تقصيها ثم مجابهتها باية صورة تكون .

لا شك ان قدرا من المبالغة قد تسرب الى حكمنا على انفسنا فقد مر العرب في فترة كانت تحكمهم فيه شعوب كثيرة ولهذا وجدت في تغنيها بالماضي وسيلة تحافظ فيه على كبريائها واحترامها لنفسها فلا غرابة ان نعظم ونضخم الكثير مما حقق السلف وننسى او نتناسى ذكر ما لا يشرفنا ذكره . وقد حققت هذه غايتنا احسن تحقيق فنجد العرب اليوم رغم كل ما مر عليه من هوان قد برز دون ان تتقوض شخصيته القومية ودون ان تتداعى معنوياته العامة . لهذا آن لنا الان ان نترك جانبا نظرتنا العاطفية لتاريخنا وعلينا ان ننظر اليه نظرة موضوعية بحتة نأخذ فيها بعين الاعتبار ما لنا وما علينا وندرس باحترام مماثل ما يشرف منه وما يشيننا . لعلنا بذلك نزيد الاهتمام باحياء التراث العربي احياء علميا صحيحا ومن يدري فلعلنا في نظرتنا الموضوعية له نكتشف ان لنا تراثا انبل واعظم وهو في حقيقته المكتملة مما بدا لنا سابقا وهو منتفخ انتفاخا مصطنعا تحت نظرتنا العاطفية له .

لندن

فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى »

تبعة العلماء في مسرحية حديثة

بقلم فؤاد صروف

* * *

ليس من طبعي ولا في طاقتي ان ازعم لنفسي حق الحكم على المسرح الحديث كنقاده المرسين ، على شدة اعجابي بأهله بين مؤلفين ومخرجين وممثلين ، وعلى وفرة ما اجده من متعة وفائدة في شهود اياته البارعه . ومع ذلك فقد ابحث لنفسي هنا ، ان اتحدث في موضوع مسرحية جديدة ، شهدت ليلتها الاولى في لندن في الترجمة الانكليزية منذ زمن قصير ، ناظرا وحسب الى فحوى موضوعها الذي يدور حول قضية فكرية اجتماعيه عسى ان تكون من اخطر القضايا التي تشغل بال الانسانيه اليوم .

موضوع المسرحية « الفيزيائيون » او «علماء الفيزياء» وهي من تاليف المسرحي السويسري الجرماني فريدريخ دورنمات . وقد ادار المؤلف احداثها في مصحة عقليه او مستشفى للمجانين فاخر الحجر وثير الاثاث يؤمه على الاكثر رجال ونساء من ذوي الثراء ، ارهقهم العمل او الهم او النفاق او عناء المشكلات الزوجية والعائلية فاصيبوا باضطرابات عقلية او عصبية . وتدير هذا المشفى طبيبة نفسية عجفاء ، ملتوية العنق ، ورثته من ابيها . والى هذه المصحة وفد ثلاثة من علماء الفيزياء النوويه ، تبدو عليهم جميعا سيماء البلاهة والخبل ، قتل احدهم الممرضة التي تعنى به قبل زمن الرواية ، لانها اصبحت تعرف عنه اكثر مما يجب ان تعرف ، وجاراه الثاني قبيل استهلال حوادثها فترى الممرضة القتيل منطرحة على المسرح عند بدء التمثيل . واما ثالثهم فقد خنق ممرضته في خلالها وبمشهد من النظارة لانها احبته وارادت ان تمهد له سبيل الخلاص ، وهو يابى ذلك . وقد كان احدهم يمثل في مظهره وقوله واشاراته اسحق نيوتن كاشف قوانين الجاذبية ، وثانيهم البرت اينشتاين كاشف قوانين النسبية وسر تحول الكتلة المادية الى طاقة . واما ثالثهم فعبقري معاصر يدعى موبيوس . وقد قيل انه كشف اعمق اسرار الكون والة التدمير العام .

ولا تكاد المشاهد الاولى تتوالى على المسرح ، حتى يسقط القناع ، فيستبين المشاهد ان نيوتن واينشتاين يتستران وراء مظاهر العالمين العظيمين ، ويصطنعان الخبل ، ولكنهما في الواقع عميلا دولتين كبيرتين متنافستين ، وقد أما المصحة تحت ستار هذا التنكر ، ليسعى كل منهما لخطف العالم الثالث موبيوس ، حتى تنتفع الدولة التي يمثلها العميل ، بكشوف موبيوس العلمية ، وتظفر باسباب القوة العليا عن طريقها . وقد كان شعار كل منهما بالقياس الى موبيوس : «انت عبقري واذن فانت ملك عام» .

واما موبيوس صاحب هذه الكشوف العبقرية فقد لجأ الى المصحة ، وتصنع مناجاة الحكيم سليمان ، لانه ادرك اصدق الادراك ان العالم لا يسعه ، اذا نشرت بحوثه وكشوفه ، الا ان يتخذها مطيه للهلاك والدمار ، فاثر ان يقبع في مصحة عقلية ، متصنعا الجنون ، ليقينه ان المصحه العقلية في هذا العالم المخبول هي المكان الامين الوحيد الذي يجد فيه السلامة والحرية .

في احد مشاهد المسرحية يدور نقاش محتدم بين الثلاثة حول تبعة العالم حيال المجتمع فيعلن موبيوس في خلاله انه دمر الاوراق التي سجل عليها كشوفه . فيذهل العميلان المتنافسان عليه . واذا مديرة المستشفى تفاجئهم بانها صورت هذه الاوراق قبل تدميرها لكي تبيحها لجماعه حربية عالمية ، كانت هي الاخرى عميلة لها ، ولكنها لا تكاد تعلن ما فعلت حتى تصاب بالجنون الحقيقي فيهول العلماء الثلاثة ان مصير العالم قد غدا في يدي طبيبة نفسية مجنونة . فيؤثر كل منهم مختارا او مقسورا برهبه ما يرى ، ان يحتم مطافه ، في عالم التمويه الذي عاش فيه والفه ، فيرجع الى حجرته المبطنه بالالباد المعده لسكنى المجانين المجانين .

ان الذي يدور في هذه المصحة العقلية في نطاق مسرحية تتحاذى فيها عناصر الملهاة والماساه والحكمه والجنون ، هو رمز للعالم الحديث الذي لم يزل منذ عشرين عاما او اكثر قليلا ، يوم ولدت الطاقه الذريه ، وصنعت القنبلة في اثرها ، وكانه يعيش في كابوس حتى لقد ازدادت الشكوك الانسانيه ، في قيمه العقل ، وامعنت عقول مفكريها وعلمائها وفلاسفتها في استقصاء الفرق بين العقل والجنون ، وفي تدارس التبعة الواقعة على كواهل العلماء حيال المجتمع .

ففريق من اهل الفكر والعلم يقول ويذيع ، كما يقول احد الفيزيائيين في المسرحية ، ان مهمة العالم الاولى والوحيدة ، هي كشف الحقيقة . يسأل ويفذ في السؤال ، ويبحث ويمعن في البحث ، ويبتكر المعادلات الرياضية العالية ، ويبدع التجارب العلمية المحكمة ، استكشافا للخفي من اسرار الكون وما اكثرها ، وسعيا الى اماطة اللثام عن المجهول . هذا هو همه الاول والاخير وليس يدخل في نطاق عنايته او تبعته او واجبه ما يصنعه الناس بنتائج ما يكشف . فالعلم الناتج من بحوثه يصلح للبنيان كما يصلح للتدمير ، وللشفاء كما يصلح للقتل والهلاك ، وهو يرجو ان يكون البنيان والشفاء اغلب

الرحلة الثامنة

اطفىء مصابيحك ولنفرق
يا حارس المنار
فالحلم في متاهك الازرق
قد اتعب البحـــار
فود لو تنتهي
حكاية البحار
حكاية الطواف في البحار
حكاية اللؤلؤ والمرجان والمحار
وود لو يفرق

*

فاطفىء له الانوار
اطفىء لنا الانوار
اطفىء ولا تقلق ...
واتركه للتيار
يحمل للاغوار ما في الحلم من اغوار
يحمل للؤلؤ والمرجان والمحار

كل الحكايات عن الجدب
عن عالم يحيا بلا قلب
عن مذنب يبحث في التوبة عن ذنب

*

اتركه للتيار
يحمل للاغوار ما يحمل في يديه
في عينيه من اغوار
يحمل للبحار
مرارة الضياع في البحار
مرارة الصبار
فاطفىء له الانوار
اطفىء لنا الانوار
اطفىء فلن تقلق ...
يا حارس المنار

بلند الحيدري

واعم – فذلك رهن باخلاق المجتمع وحكامه . اما ما يصنعون فعلا فليس شأنه .

هذا راي فريق .

وفريق اخر يقول كما يقول العالم الثاني في المسرحية، انه ينبغي للعالم ان يدرك العواقب الاجتماعية لكشوفه، وان يتحصل تبعة ما قد تستعمل له . واذن فالواجب يقتضيه ان يلجأ الى العمل السياسي وان يسعى الى بلوغ مقاعد الحكام حتى يستطيع عن طريق السلطان السياسي ان يكفل لنتائج بحوثه وجوها من الاستعمال الخير والتطبيق النافع .

وفريق ثالث لا يقنع بهذا او ذاك فيقول كما يشير موبيوس في حديثه ، الى ان اهمال العالم الاهتمام بعواقب علمه انكار لاهم قواعد الاخلاق ، وفرار من مواجهة التبعة، وان خوض العلماء معترك العمل السياسي مقضي عليه بالخيبة لجهلهم اساليب هذا المعترك وطرائقه ومنح لهم عن موالاة البحث والكشف ، وان السبيل الوحيد انما هو ان يمسك العالم عن اباحة علمه ونشره كما حاول موبيوس إن يفعل . ولكن الاعتراض على هذا القول لا يلبث ان يستبين في قولين يجيئان في المسرحية : اولهما ان الاخفاء اذا امكن ، تجميد للتقدم العلمي ، وثانيهما مضمن في عبارة بسيطة حافلة بالمغزى مؤداها : « ما يعلم لا يمكن ان يطمس ».

وعلى ان المسرحية لا تتعدى افراغ هذه المشكلة الضخمة في هذا القالب المميز المثير فانها ولا ريب تشترك مع كثير من المؤلفات والكتابات الحديثة في الدعوة المباشرة وغير المباشرة الى طلب الحكمة في علاجها وتعبئة الرأي العام حتى يستطيع العلماء ان يمضوا احرارا في البحث والكشف ، ويمضي في قدرته على الانتفاع بنتائج بحوثهم دون ان يصيبه الخبل او يدركه الهلاك .

فؤاد صروف

مولد النور

الى فتى المغارة في ذكرى ميلاده ال ١٩٦٤

* * *

قد كان قبلك طيفا تائه النظر ... في الارض يهزأ منه مبسم الزهر
يهيم في الارض مهدور الضياء بها ... على الضلالة مسفوحا على البطر
يرى النفوس فيخشى ان يداخلها ... مغاورا ملئت بالخوف والحذر
لم تشف أنمله الاعمى ، ولا عرفت ... لمس الجراح ، ولا مدت الى العبر
سما به الله في ثوبيك ظاهرة ... آياته فهو ملء السمع والبصر
النور لا تسالن أم الشموس به ... متى استهل ، وكم امضى من العمر؟!
واسأل به مريما انى به حملت ... وكيف شق ظلام الغار عن قمر !
دع التواريخ لا تحفل بما كتبت ... قبل ابن مريم لم تكتب سوى الهذر
للنار ما سطرت في الرق أنملها ... وللزلازل ما خطت على الحجر
بك السماء قد اقتصت وداعتها ... من كبرياء ذوي التيجان والصعر
زاد الخلود حمته عن موائدهم ... وقربته لهم في معلف البقر

* * *

فتى المغارة قد ضل السبيل بنا ... والافق ينذر بالارزاء والغير
والخلق مذ كان ، كان الخوف يلجئهم ... الى المغاور عبر الارض والحفر
هب اتقوا وابل النيران في نفق ... اين الوقاء لهم من عاصف القدر؟
اليك يا موئل الدنيا ومنقذها ... في زحمة الهول ترنو اعين البشر
وفي مغارتك الصغرى ملاذهم ... من السعيرين في الدنيا وفي سقر
مغارة تسع الدنيا بأجمعها ... ولا تضيق عن الاخرى على صغر

* * *

معلم الحب ، هل للحب مجتمع ... في الناس آل بهم الا لمشتجر
دنا لسلطانه في الدل والحور ... متى ندين له في الخلق والسير؟
بهديك العلم ان لم يتسم خلقا ... فليس في حمله فخر لمفتخر
وما المدارس ، الا حين تدخلها ... سوى سجون بها الاغلال من فقر
والدرب ان لم تكن انت الدليل بها ... هوى المصير بنا من فوق منحدر
وكل غرسة حقل لا يلقحها ... بروحك الحب دب السوس في الثمر
والحب لو لمس الاجام لانتفضت ... من شوكها وتهادت بالجنى العطر
تبقى البرية في جدب وفي ظمأ ... حتى تعود الى ينبوعك النمر
فأين من كأسك الكأس التي شربت ... واين دمعك منه أدمع المطر ؟!

* * *

كم غضبة لك لا تخفى مراحمها ... كغضبة الشمس فوق المورد العكر
ان لم تحل نورها نارا يبخره ... فليس ينقى بها من طينه القذر
يا واحد الطهر ، ليس الرجس ترمقه ... بمقلتيك بذي رجس ولا وضر
كنظرة الشمس ما صبت على حمأ ... الا تفتق منه عاطر الزهر

* * *

يا شاعر الملأ الاعلى ألم ترني ... بك ائتممت وان قصرت في الاثر
صدفت عن شعراء الارض كلهم ... لما وقفت على آياتك الغرر
ما قيمة الشعر والالفاظ أوعية ، ... اذا خلا من جمال الروح والفكر
شعري لك الروح فيه حين أنظمه ... وليس لي منه غير اللحن والصور
والفن ان لم تعره الروح أجنحة ... يسمو بها ، عن تراب الارض لم يطر
وأضيع الشعر ما استوحاه قائله ... من دفقة الكأس او من خفقة الوتر
مالي أقيمك في بيت أطوف به ... ولا أقيمك في روعي وفي بصري ؟!
خلعت هيكلك المبني من عصب ... ومن دماء ، فهل ترضاه من حجر !!

فارس سعد

الشاعر خليل مردم بك

بقلم احمد الجندي

* * *

للشاعر المرحوم خليل مردم بك مكانة خاصة بين شعرائنا الذين عرفناهم في مطلع هذا القرن – العشرين – وهذه المكانة الخاصة قد افردته بين قرنائه وميزته من رصفائه ولو وفق الى اهدافه الشعرية ومقاصده في التجديد والتطور لكان لنا من ديوانه الذي بين ايدينا ديوان اخر فيه كل جديد وحديث ، وفيه الوان مخترعة تدل دلالة واضحة على ان شعرنا قابل للتطور والاتساق مع الزمن في تقلبه وحدثانه . وخليل مردم عبقرية فذة يحمل فطرة ادبية كبيرة ويضم بين جنبيه موهبة شعرية نادرة ، ولكن الزمن الذي عاش فيه كان زمنا شديدا على الادباء سيئا على الشعراء ، لما كان فيه من قيود احكمها التعصب ، ومكنها الجهل فكان من الصعوبة بمكان ان يستطيع الاديب او الشاعر التخلص منها ليصل الى الحرية ، الى الجو الذي يمكن للشاعر ان يعيش فيه آمنا مطمئنا فينظم على هواه ويكتب على سجيته .

واعتقد ان اسرة (مردم) لم تكن وسطا ملائما لظهور الشعر والشعراء ، فهي اسرة عريقة في ثروتها وجاهها اتجهت منذ وجودها الى التجارة والزراعة وابتناء الدور والمساكن وكان والد الشاعر احمد مختار مردم من اغنى اغنياء العائلة ، كما كان من اغنياء دمشق المعدودين .

اما اسرة والدة الشاعر فهي اسرة حمزة او – النقيب – وهي أسرة علم وادب ، نبغ فيها علماء جهابذة اعلام ، ولعل جد الشاعر الشيخ محمود حمزة من ابرز اولئك العلماء محلا وكفاءة ، ومن شعراء هذه العائلة البارزين الشاعر الموهوب السيد عبد الرحمن بن النقيب (١) ، ووالده محمد .

ونحن لا نؤمن بقضية الوراثة الادبية كسبب مباشر للشاعرية ، بل نؤمن بالوسط الذي يعيش فيه الشاعر وان الفطرة او الموهبة الطبيعية يوجدها الخالق في الانسان دون النظر الى اهله وعشيرته ، ومن ظاهر القول ان ولد الشاعر لا يكون شاعرا بالضرورة ، وعلى هذا القياس نستطيع القول بان موهبة توجد في شخص ما دون النظر الى ابيه او جده او خاله او عمه ، وهي عطية الخالق يهبها من يشاء .

ولكن العائلة ، بالنسبة للشاعر تشكل وسطا ، وهذا الوسط هو الذي يخلق الجو الملائم لنمو البذرة – الموهبة – وعلى عكس ذلك فان الوسط غير الملائم قد يؤخر تكشف العبقرية الفنية أن لم يعمل على قتلها في مهدها كما وقع لكثير من الشعراء المغمورين .

واذا اعتبرنا العائلة وسطا يعيش فيه الشاعر وجوا يتنفس فيه هواء الحياة ، فان اسرة آل مردم كانت بالنسبة لشاعرنا – خليل مردم بك – وسطا مرفها اوحى للشاعر بالكثير من الامور التي توحيها الثروة والجاه والى هذا الوسط يمكن انعزو الترف البادي بشعر الشاعر والاناقة التي تلوح على الفاظه وكلماته . كما كانت عائلة آل حمزة وسطا فنيا وعلميا نلمح اثاره البارزة في ديوان الشاعر وفي قصائده التي سار فيها على غرار القدماء من حيث الديباجة والاسلوب الرصين .

ولعل تلاقي هذين الوسطين في حياة الشاعر خليل مردم ، وسط الرفه والغنى ، ووسط العلم والفن ، لعل هذا التلاقي هو الذي كون فكرة التجديد والتطور عند شاعرنا ، بل لعل هذه الفكرة بالذات هي التي دفعت بالشاعر الى السفر لديار الغرب ، ليعيش في انكلترا حقبة من الزمن ينهل فيها من مناهل الادب الغربي ، ويطلع على ما خطه الشعراء الرومانتيك من شعر فخم اخاذ بدت اثاره في شعر شاعرنا بدوا لا يمكن اهماله او نسيانه .

ولقد ولد شاعرنا الكبير (٢) – تغمده الله برحمته – في عام ١٨٩٥ للميلاد ، وفي مدينة دمشق وتعلم في مدارسها حتى انجز المرحلة الاعدادية والتفت الى ملكته الخاصة فتوفر على تلقي دروس اللغة العربية على اساتذة اجلاء ، كما اخذ الفقه عن الشيخ عطاء الله الكسم ، والحديث عن الشيخ بدر الدين الحسني وهما حجتان في ذلك .

وعرفته الاوساط الادبية على ضيقها يومئذ ، شاعرا موفقا ، وكاتبا نابها ، فلما كانت الحكومة الفيصلية العربية عين مميزا لديوان الرسائل العامة ، ومدرسا للانشاء في مدرسة الكتاب والمنشئين التي افتتحتها الحكومة لتعليم موظفيها دروس اللغة العربية ، ثم تقلب بعد ذلك في وظائف علمية حتى صرف من عمل الحكومة في عام ١٩٣١ فتوفر على خدمة الادب مجددا واسس هو ورفقاء له جمعية ادبية ، هي جمعية الرابطة الادبية ، ومن ابرز ادبائها شاعرنا ، والمطران ابيفانيوس ، شفيق جبري ، سليم الجندي ، حليم دموس وغيرهم كثيرون ممن برزوا في الكتابة والشعر هاتيك الايام ، وكان رئيسا لها ، واخذ ينشر القصائد في الوطنية والغزل فانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق .

عندما بلغ الشاعر هذه المرحلة خطرت على باله اشياء هامة تتعلق بمملكته الشعرية وفطرته الفنية فقد راى ان

(١) – يقوم المجمع العلمي العربي بدمشق بطبع ديوان هذا الشاعر .

(٢) – رجعنا في هذه الترجمة الى معجم المؤلفين لمؤلفه السيد عمر كحاله .

لا يكتفي بالوقوف على اداب اللغة العربية وان على الاديب الشاعر في هذه الايام التي اتصل بها الغرب بالشرق ، ان عليه ان يقف على لغة اجنبيـة واحدة على اقل تقديـر ليستطيع الاطلاع على قرائح الغرب ، وثمـرات الفكـر الاوربي ، ولن يستطيع الاديب الوقوف على تطور الشعر الاوربي والافادة منه الا اذا قدر على تعلم احـدى اللغات الاوروبية كثيرة الانتشار ، من مثل الانكليزية او الفرنسية، او الالمانية او الايتالية ، ولقد راى خليل مردم بك اكثـر الادباء في مصر ولبنان يقفون على اللغات الاجنبية ليقراوا ما بها وليطلعوا على نتائج ادبائها وهذا شوقي مثلا لقـد عاش حقبة طويلة من حياته في اوروبا ، ولقد افاد مـن ثقافته الفرنسيـة الشيء الكثير ، هذه الثقافة التي رفعت من شعره ، وهذبت من لفظه وفتحت عينيه على افـاق جديدة في الشعر ، ولعل القاريء المنتبه يفطن الى هـذه الاثار في شعر شوقـي وخاصـة في رواياته التمثيليـة الاخيـرة .

ادرك الشاعر مردم هذه الحقيقة فعقد العزم على السفر الى انكلترا ليتقن اللغة الانكليزية وليطلع على اقوال ادبائها من افواههم ، ولكن الظروف لم تتركه يسير على هواه ، بل لقد اضطرته الى السفر على طريقتها هي فـي الاسراع والعجلة ، فلقد نظم قصيدة اثارت المستعمرين الفرنسيين في دمشق فحاولوا القبض عليه فهرب الى لبنان ، ولم يمكث طويلا حتى سافر الى الاسكندرية ، وفيها اقـام اربعة اشهر بصحبة حافظ ابراهيم وخليل مطران واحتفظ لهذه الايام ، على قصرها ، بذكريات في نفسه سجلها فـي مقالات نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشـق ، ومن الاسكندرية ذهب الى لندن حيث انتسب الـى جامعتها وظل فيها اربع سنوات ، وفي لندن عرف ويلز ، وجالسورتي ، وكبلنغ ، وتوماس هاردي ، وغيرهم مـن الادباء الانكليز الافذاذ ، وقيل انه حصل على شهادة تعادل الدكتوراه وليست هذه الشهادة عندي بذات قيمة او اثر، لاني اعتقد ان رحلة الشاعر كانت للعيش في انكلتـرا والافادة من جوها العلمي والشعري ، والشهادة هـدف اخر غير ما قصد اليه الخليل . على ان الشاعر لم يحبب جو انكلترا الطبيعي وان احب ادبها وثقافتها ، فالفـرق بعيد بين اجواء دمشق واجواء لندن ، والبون واسع بين الضباب المكفهر ، والسماء الصافية .

وعاد الشاعر الى دمشق في عام ١٩٢٦ ليواصل جهده الادبي وليصدر مع عدد من الزملاء الادباء مجلة «الثقافة». ثم انتخب بعد ذلك امينا لسر المجمع ، ثم وزيرا للمعارف في عام ١٩٤٢ ومنذ عام ١٩٤٦ انصرف الى ناحية جديدة من حياته الادبية اذ اصبح مولعا بمطالعة الدواويـن القديمة ، وتحقيق ما يعجبه منها ، وخاصة دواوين شعراء دمشق من مثل ابن عنين ، وابن حيوس ، وابن الخياط ، وطبعها كلها على نفقة المجمع العلمي . ثم انتخب بعد ذلك عضوا في كثير من المجامع العلمية ، في القاهرة، وبغداد ومدرسة الدراسات الشرقيـة بلندن ودائرة المعـارف الاسلامية للمستشرقين ومجمع البحر المتوسط فـي بالرمود والمجمع العلمي السوفياتي . ثم عين في عـام ١٩٥١ مفوضا للحكومة السورية في بغداد ثم وزيـرا للخارجية في عام ١٩٥٣ ، وفي هذه السنة نفسها انتخب رئيسا للمجمع العلمي العربي بدمشق ، وبذلك بلغ ، رحمه الله اقصى ما كان يطمح اليه من مكانة علمية وادبية فـي آن واحـد .

وتوفي الشاعر الى رحمة الله في عام ١٩٥٩ .

لقد المنا حتى الان المامة خاطفة بحياة شاعرنا الكبير ، وبقي الشيء الهام من هذه الحياة واعني بذلك شاعريته خليل مردم شاعر مطبوع ، مفطور على الشعر والفن ، ولعلك لو جلست اليه لاحسست رفاهة حسه ، ولادركت دقة شعوره ، وانصرافه كليا الى مجالي الفن ومطـارح الشعر ، لقد كان هادىء الطبع ، رزين القول ، يتحدث اليك همسا ، ويكلمك ايماء واشارة ، فلا يرفـع صوته ، ولا يعلي من نبرته ، والحياء عندي صفة ملازمة للشعراء ، بل هي دليل على قوة الشاعرية لان مرهف الحس لا يستطيع ابدا ان يجرح احساس احد من الناس لادراكـه مقـدار الاذى الذي قد ينجم عن هذا الجرح .

فصورة الشاعر كلها توحي بان الرجل شـاعر ، ثم لو رجعت الى منظوماته الاولى لايقنت بصدق الفطرة الشعرية عنده ، ولعجبت لهذه السهولة التي يجري فيها لفظـه ، ولهذا الهدوء الذي يتسم به كلامه ، ولعرفت فيه الكلام العربي الذي لا تكلف فيه ولا تصنـع .

ولقد قلت ان الحياء هو مفتاح هذه الشخصية الشاعرة، وهو الذي كان له الاثر في منظوماته فلن تعرف عن هذا الشاعر الهجاء ، بل لن تعرف عنده من المزاح الا اللطيـف الخفيف الذي لا يجرح سمعا ولا يخدش اذنا ، اما غزلـه فاقرب الى العفة ، واميل الى الطهر والنظافة والترفـع ، اما المديح فلم يكن شيئا مذكورا لديه ، ولم يكن بحاجة الى المديح ، فهو لم يخف احدا الا الله ، ولم يتامل رفـدا او عطاءا من بشر ، فشعره اذن لم يكن صادرا الا عن دوافـع الفطرة وبواعث الطبيعة الصادقة التي لا تتأثر بالظـروف والاحداث الا بمقدار ما تحرك فيها هذه الظروف والاحداث الشاعرية الصحيحة البعيدة عن الزيف ، النائية عـن التصنع والكلفة .

واسمع لهذين البيتين وقد نظمهما وهو في سن الشباب الباكر يرثي والده وكانت سنه ست عشرة سنة :

اقول ونعشـه يختـال تيهـا تحيط بـه المهـابة والجـلال
خليلـي احسرا دمعـي قليـلا لانظـر كيـف سيـرت الجبال

وهذه ابيات وصف بها الربوة والمزة منتزهي دمشـق المعروفين وكانت سنه في الثامنة عشرة :

حي الشآم وربعها ... ذات الينابيع والنهور
فالربوة الفناء ما ... احلى بها سجع الطيور
والريح تنسج مغفرا ... فوق الغدير المستدير
والماء مثل اراقم ... ينساب من عالي الصخور

واسمع لهذه الابيات الغزلية وقد نظمها وهو ابن سبع عشرة سنة .

ابيني هل لوصلك من سبيل ... فنجم العمر آذن بالرحيل
اذا ازمعت منع الوصل عني ... فاني منك راض بالقليل
عديني وامطلي بالله يوما ... وان اخلفت ما انا بالملول

هذه الابيات كلها لم نستشهد بها على انها شعر رائع ولكنها ، كنظم ، تعتبر في رأينا دليلا واضحا على صدق الشاعرية وعلى الفطرة التي لا شعر بدونها ولو كنت محكما في هذا الشعر لشجعت صاحبه الشاب ولدفعتبه الى الاستمرار على النظم اعتقادا مني ان النجاح مفروض مؤكد في مثل هذه القرائح الجديدة الصادقة . ولكم قلنا لكثير من الشباب ، المحاولين للنظم ، الراغبين في الشعر ، قلنا لهم بصراحة هي اشبه بالاهانة : ما لكم ولهذا الفن اتركوه فليس لكم فيه نصيب ولو قضيتم كل العمر في المحاولة لما وصلتم الى نتيجة ولعشتم بلا طائل . وكنا في قولنا هذا صادقين مخلصين.

على انك قد تلمح في الابيات التي مرت بك حبو الطفل واضطراب الوليديهم بالقيام ثم المشي ، ولكن الحبو يبشر بالقوة والاتزان ، والاضطراب هنا دليل على الهمةالصادقة التي تريد ان تتكشف لتصبح كاملة عما قريب . والحقيقة ان الشاعر لا بد له في بدء حياته الشاعرة ، من ان يلتفت الىغيره ، ولن يستغني عن الهجوم على من سواه من الشعراءلكثرة ما حفظ لهم ورسخ في ذهنه منهم من شعر اختاره هو ليختزنه في ذاكرته لشدة اعجابه به ، وقد يظل الشاعر فترة على هذه الصورة حتى تنصل شخصيته مما علق بها من محفوظات ، ثم يستقل استقلالا تاما ناجزا فاذا التفت بعد ذلك الى من عداه من الشعراء التفت اليه ليأخذ منه وليحور ما اخذ وليسكبه على طريقته الخاصة فعل الصانع الموهوب .

وسرعان ما تطور شعر خليل مردم ، فاتجه كما ينبغي ان يتجه ، الى الناحية الوطنية القومية ولقد كانت هذه الناحية الشغل الشاغل لابناء قومه وجلدته ولكن الشاعر الصادق أكثر احساسا من الانسان العادي فهو يحس بالضغط مضاعفا ، ويشعر بالظلم فادحا مركبا ، فلا يستطيع سكوتا ولا يقدر على الصمت والاحتمال ، فاذا نطق تفجر البركان فقذف بالحمم يحرق بها العدو الغاصب . وهكذا كان الخليل ، لقد كان الحياء طابعه الخاص ، وكان الهدوء صورته التي عرف بها ، فاذا تحدث عن الفرنسيين ثارت ثائرته وخلع عنه حياءه حينا ما وترك هدوءه ليضرب الضربة القاضية ويبطش البطشة القاصمة واستمع اليه يذكر يوم ميسلون ويوسف العظمة :

خليل مردم بك

•

أيوسف والضحايا اليوم كثر ... ليهنك كنت اول من بداها
فديتك قائدا حيا وميتا ... رفعت لكل مكرمة صواها
فيا لك راقدا نبهت شعبا ... وايقظت النواظر من كراها
سمت بك للمعالي نفس حر ... لقد كانت منيتها مناها

الى ان يلقي بهذه القنبلة فيهشم اعداء الوطن ويحطم ما بنوا من افك وزور :

فدى لك بل لنعلك كل تاج ... تعرفه الطغاة على هواها

لقد جعل التاج في مستوى واحد هو النعل ولعمري ان في هذا الكلام لمبالغة في الثورة وتطرفا في الغضب الهائج الذي لا يحول دون تفجره الحياء ولا الهدوء.

وهكذا فان الشاعر لا بد ان يخرج عن شخصه ، ولقد ينزع القفاز المخملي احيانا ليلبس بدلا منه كفا حددت اظفارها وتكالبت مخالبها ، ولكنه لا يفعل ذلك الا حين يريد الثار من معتد ، او غاصب او لئيم وهو يعبر عن ثورته حين يراجعه حياؤه وكأنما يستغفر هذا الحياء والهدوء بقوله :

سأقصر فالقوافي في اليوم جمر ... أخاف على المسامع من لظاها

ثم نظر الى الثورة الاخرى حين رأى الدخلاء في الجزيرة والاسكندرون يتآمرون على الوطن هذا الوطن الذي آواهم ونصرهم وآمنهم من خوف :

أجارك الله هذا الحلف والجار ... عليك – لا لك – اعوان وانصار

قل للحليف وخير القول اصدقه ... ما بال جيش تولى وهو جرار

انه يسخر من الجار ويسخر من الحلف ـ وهو فرنسا ـ ويسخر من جيشها الجرار الذي لم يتحرك حين اريد له ان يدافع عن الدار ، هذا الجيش الذي :

من بعد عشرين عاما بين اظهرنا ... لم يحم ثغرا ولم تمنع به دار
عهدي به يستثير الطفل غضبته ... ما باله اليوم رحب الصدر صبار
اعيذه ان يقولوا عنه : جبار ... على الضعيف ، وعند البأس خوار

بلى لقد كان جيش المستعمر نزقا ارعن حين يتحرك اهل البلاد مطالبين بحقوقهم في الاستقلال والحرية ، اما حين يعتدي على هذه البلاد تركي غاصب فان الجيش يسكن وينحني خشية ورهبة لان التركي يملك جيشا يستطيع به القتال والنضال .

وينتقل الشاعر الى الجزيرة وكانت قد ثارت بتوجيه دوائر الاستخبارات واهل الجزيرة مجموعة عجيبة من الناس فيها من كل صنف جماعة ومن كل قوم نفر وائد وفدوا على الجزيرة من كل صوب حتى اذا سكنت نفوسهم وهدأت قلوبهم قاموا على الحكومة الوطنية بتحريض المستعمر والقصد من قيامها ذاك تعطيل المعاهدة التي توصل اليها الوطنيون المقاومون بعد نضال دام سنين واعواما . يخاطب الشاعر هؤلاء وهو ثائر مهتاج :

قالوا الجزيرة لا ترضى بحكمكم ... ما في الجزيرة الا النفط والقار
ديار عمرو بن كلثوم يعيث بها ... في هزل دهرك اسكاف وخمار
من لاجيء ودخيل وابن سابلة ... في ظهره من سياط الترك آثار
طي وتغلب هل نامت فوارسها ... فصال يرهج في الميدان حمار

ولقد وصف الشاعر الجزيرة وصفا موفقا كأنما قد عاش فيها ، وكان من المعجب بمكان ان يتآمر العربي على اخيه العربي والاجنبي يضحك منهما كليهما . وتثور ثائرة الشاعر بعد هذا الوصف الرائع ليخاطب ابناء العروبة كلها مستثيرا نخوتهم ضاحكا من تفككهم ، ساخرا من بقائهم على الجور والهوان :

بني العروبة كم من صيحة ذهبت ... لو يستثار بها الموتى اذن ثاروا
هنتم على كل شعب من تخاذلكم ... شأن العبيد وباقي الناس احرار
لم تغن كثرتكم عنكم كأنكم ... على المزيد ـ ولا ارقام ـ اصفار
يا ليت شعري ماذا يستفزكم ... حمى مباح واذلال وافقار

اعود الى القول : انها ثورة جامحة عصفت بقلب الشاعر فاخرجته عن طوره حتى كاد يبلغ حد الاقذاع في وصف ابناء قومه ، هذه الثورات التي تنتاب قلب الشعراء انما هي دليل على قوة الشاعرية واصالة الاحساس وصدق الشعور .

اضيف الى ما سبق هذا الاسلوب الشعري الرائع الذي هو الصفحة الاولى للشاعر الصميم ، فاذا اردت ان تستمع الى الغناء الصادح والانشاد الباغم فما عليك الا ان تسمع غزل الشاعر ووصفه وسأضع يدك على شيء من هذا الشعر الذي يأخذ بلبك ويصرفك عن كل ماعداه من شعر حديث :

وصبيحة تختال في برد الصبا ... والحسن سوداء الفروع كعاب
قالت وقد رأت المشيب بلمتي ... لوددت لو ان البياض خضابي
بتنا على حكم الكئوس وطالما ... قد عودتنا منة الوهاب
كنا نعد كؤوسنا حتى اذا ... كثرت شربناها بغير حساب

ولست اذكر لك جمال هذا الاسلوب وحسن هذه الديباجة العربية الرائعة فأنت أجدر ان تحس بكل هذا دون دليل او مشير ، واستمع الى الوصف أيضا للتحقق مما قلت لك :

نفخ الصور فهبوا ممرعين ... مثل ما نفرت طيرا بالصفير
وعلى الصهباء كانوا عاكفين ... من رأى سرب مها حول غدير
كم فتاة فتنه بالمقلتين ... واعتدال القد والجيد التليع
جمت الشعر الى السالفتين ... فاستبدت بابن هاني والصريع
اخذت من ذيلها للركبتين ... ومن الطوق الى اقصى الضلوع
ومن الكمين حتى المنكبين ... فبدت في درعها غير المنيع

فهو وصف موسيقي يضيف الى المعنى الحركة التي تصدر عن الرقص ، ويزيد على الوصف الشعري هذه الدقة في وصف الزينة من شعر وثياب فكانه ينقل لك صورة فوتوغرافية كتلك الصور التي امتاز بها شعر ابن الرومي .

ان للشاعر خليل مردم نواحي كثيرة هامة في شاعريته ، اما مفتاح هذه الشاعرية فهو حياؤه انه اصل شخصيته كلها ، واما مقومات هذه الشخصية الشعرية الكبيرة ، فعلم جم واتقان ظاهر وطبع لايداخله الشك والخطأ .. واذا جاز لنا ان نعدد شعراءنا المطبوعين فان خليل مردم يقف ولا شك في الصف الاول منهم .

ولقد حاول شاعرنا التجديد جهده فادخل على شعره من العناصر الجديدة والاخيلة المبتكرة الحديثة ، وهو اذا لم يوفق الى ما اراد من تجديد فلان ظروفه الخاصة كانت تبعد به عن الثورة التي هي الدافع الاول للتطور والتجديد فشاعرنا لم يكن ثائرا ، بل كان هادئا وربما ثار في بعض المواقف الوطنية كما اسلفنا ، لكن ثورانه هذا لم يكن طبعا لديه لانه كان سرعان ما يهدأ فيعود الى سكونه واتزانه ، وهذا السكون ليس من صفات المجددين الثائرين ، لقد جدد بشار لانه كان ثائرا على مجتمعه وكذلك ابونواس ، لقد كانت المخالفة طبعا عند هذين الشاعرين وكان التحدي صفة من ابرز صفاتهما ، اما خليل مردم فلا يستطيع تحديا الا اذا خاطب المستعمر ولا يستطيع مخالفة المجتمع الا اذا تآمر هذا المجتمع على قومه ووطنه كما مر بك .

كان خليل مردم غنيا ، وكان من عائلة محافظة ، وكان وزيرا ، وسفيرا ، ورئيسا للمجمع العلمي العربي ، وكلها صفات تكبل صاحبها وتضعه حيث تريد هي لاحيث يريد الفن والشعر ، لهذا الزم خليل مردم جانب الهدوء ولهذا انصرف الى النظم الجميل دون ان يثور او يتفجر .

رحم الله خليل مردم ، فلقد كان شاعرا مطبوعا ، وأديبا مرموقا ، ولقد خلف لنا ديوانا من الشعر فيه كل عناصر الشعر الصحيح الرائع .

دمشق ... **أحمد الجندي**

شعري

★

شعري الذي هدهدته اهزوجة
هو يا مليحة من جنى احلامي
عبقت بانفاس النجوم حروفه
وتلونت في ملعب الانسام

الشعر يولد في حنايا اضلعي
حرا ويشرب من عصير فؤادي
ينساب ينبوعا بغير تكلف
ويموج عشبا في حنايا الوادي

انا لست ادري من يعلمني ومن
يملي علي الشعر في خلواتي
سر عجزت بحله فتركته
ليراعتي وغرسته بدواتي

ان كان يوحيه ملاك شاعر
فعلام يأبى ان يصرح باسمه ؟
يا من يخبرني اهذا الشعر من
آيات نظمي أم بدائع نظمه ؟

كرست شعري للملاح أهزه
لحنا يرف طلاقة وعبيرا
فتطلعت هذي ، وتلك تبسمت
يعطي كثيرا من ينال كثيرا

قد كنت احلم أن أصوغ قصيدة
عذراء لم تخطر بمهجة شاعر
لكنها ضاعت ، وأحسب أنها
سرقت ولم افطن لها من خاطري

لا لن اثور فقد رأيت قصيدتي
كالزهرة النديا في فم غانيه
شقراء ، أما ثغرها فحديقة
ملأت عيوني بالقطوف الدانيه

يا حلوة العينين ان اغراك في
شعري الجديد نقاؤه وصفاؤه
فدعيه يزرع في فؤادك عشه
دنياه انت ومقلتاك سماؤه

رقص الرصيف وصفقت شجراته
لما خطرت بقدك الريان
موجت شعري بالشذا وغمرته
بعجائب الالوان والالحان

يا حلوتي اني لاطمع ان ارى
صلوات شعري نغمة في ثغرك
وأريده عقدا بنحرك فاسمحي
ان يستدير قلادة في نحرك

أهديته للمليحة وقبيحة
وشغلت بالشقراء والسمراء
لا تضحكي مني ، فلست بقادر
ان احبس النجوى على حسناء

فاذا رأيت تنقلي لا تعجبي
قلبي مباح للعيون وبابي
قطع الوقار علي اسباب الهوى
فوصلتها بحبائل الاعجاب

يا بنت عصر النور اني شاعر
ماتت على اوتاره البسمات
جددت حسن الكون فائتلق الرجا
وتضاحكت في مهجتي الاهات

ساظل من ينبوع وحيك استقي
واحوم حولك كالخيال الشارد
وارش شعري في دروبك زنبقا
واظل باسمك استهل قصائدي

بونس ايرس – الارجنتين

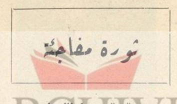
زكي قنصل

غرفها في روما ، وكانت هي مغنية اوبرا ناشئة، وقد وفدت من بولونيا على روما للتدرب على فن الغناء في معهد القديسة شيشيليا الموسيقي، وكان هو في بعثة دراسية فنية في اكاديمية الفنون الجميلة في روما ايضا . والتقيا في منزل للطلاب هنك عاشا فيه معا بعض الوقت .

كانت كريستين فتاة في نحو الثانية والعشرين من عمرها، طويلة القامة، فاحمة الشعر بشكل يكاد يكون غريبا عن طبيعة البولونيات المشهورات بشقرة الشعر الذهبية الساحرة . وكانت الابتسامة الدائمة تطفح على وجهها المستدير مصحوبة ببريق ساحر من عينيها الواسعتين ذواتي الرموش الطويلة السوداء بلون شعر راسها ، فتزيد من تألقها وفتنتها . كانت جذابة الى حد مذهل بتألق عينيها الدائم، وابتسامتها التي لا تغيب عن شفتيها الرقيقتين اللتين يبدو من خلفهما نضيد من اللآلىء الصغيرة البيضاء . وكان جيدها المرمري الابيض الذي ينحسر عنه الثوب، عادة، الى اعلى النهدين ، من الامام، والى ما تحت استرسالة الشلال الاسود من الشعر ، من الخلف، يبدو فاتنا اشد الفتنة تحت شلال الشعر الفاحم .

لم تكن قد تعلمت الايطالية بعد ، فهي ما تزال مبتدئة ، اذ لم يمض على وجودها في روما اكثر من شهر واحد ، ولا تعرف الفرنسية ولا الانجليزية ليسهل عليها التفاهم مع الزملاء والزميلات بلغة عامة شائعة. ولذلك كان تفاهمها مع الاخرين شاقا كل المشقة، مما كان يسبب لها الحرج والارتباك ، لانه ليس من السهل ان تجد هناك من يخاطبها بالبولونية وحدها ، فكانت الاشارة هي سبيلها الى التفاهم مع الاخرين في الغالب . وعلى الرغم من كثرة الشبان المعجبين بجمالها ، والراغبين في مجالستها ومصاحبتها ، فقد كانت تشعر بأنها تعيش في شبه عزلة مريرة قاسية .

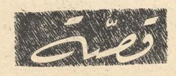
وكانت تشاركها في غرفتها من المنزل فتاة ايطالية عازفة كمان ، تتلقى هي ايضا دروسها الموسيقية في معهد القديسة شيشيليا . وكانت تلك الزميلة الايطالية طيبة القلب جدا ، وقد راحت تعمل كل ما في وسعها لتعلم كريستين الايطالية ، ولتنفي عنها الشعور بالعزلة . ولكن اللغة الايطالية كانت ذات صعوبة بالغة بالنسبة اليها ، ومع ذلك فقد كانت تجهد نفسها في تعلم بعض مفرداتها ، ومحاولة استخدامها في الحديث ولو دون روابط من افعال وحروف وافعال مساعدة : المهم ان



قصة من ايطاليا

بقلم عيسى الناعوري

تنقل ما تريده الى الاخرين عن طريق بعض المفردات المصحوبة باشارات اليدين والراس ، وتعابير الوجه والعينين . وكانت زميلتها الايطالية القصيرة القامة ، واسمها رومانا ، تحبها كثيرا ، وتجتهد في ان تراها تتغلب على الحرج وشعور العزلة ، وتخرج معها في اوقات الفراغ الى احياء روما ومنتزهاتها ومتاحفها ، وتشرح لها كل شيء بما يبلغ اليه جهدها من مقدرة على الافهام ، وكان يساعدها على ذلك ما تتحلى به من مرح وحيوية وخفة روح ، على الرغم من انها قصيرة القامة ، قميئتها ، وغير ذات جمال او جاذبية، ولكن ضحكتها المجلجلة دائما ، وخطواتها الحجلية القصيرة السريعة ، وحركات يديها ، وتعابير وجهها التهريجية اللطيفة ، كانت كلها عونا لها على ازالة الوحشة وشعور الوحدة من نفس كريستين، فاذا بها احيانا تنطلق حنجرتها بضحكة مجلجلة من اعماق قلبها وملء صدرها .



ولم يكن بين صادق وكريستين لغة مشتركة غير لغة العيون والشفاه والاشارات ، ولكن هذه اللغة وحدها لم تكن كافية للتغلب على ما في نفس كريستين من شعور يباعد بينها وبين الاخرين . فاتخذ صادق من رومانا سبيلا الى الاتصال بزميلتها ، فاذا ما رآهما معا على مائدة الغداء او العشاء ، او في استراحة ما بعد احدى الوجبتين، او راهما في قاعة المطالعة ، جاء وجلس معهما وراح يتحدث الى رومانا بالايطالية المكسرة التي كان قد بدأ يتعلمها منذ عام واحد ولكنها كانت كافية ، على كل حال ، لكي يتفاهم بها مع الاخرين دون عناء كبير ، وتشترك معهما كريستين في الضحكات التي تثيرها رومانا بنكاتها المتلاحقة ، وتعبيرات عينيها الصغيرتين الضيقتين . وسرعان ما تحطم جدار الجليد لدى كريستين ، فاصبحت تأنس الى صادق شيئا فشيئا ، وصارت الالفاظ الايطالية التي استطاعت ان تتعلمها من زميلتها رومانا تساعدها على ان توصل الى فهمه ما تريد ، وان تفهم منه بعض ما يقول .

وفي المرة الاولى خرجت معه ، وبرفقتهما رومانا ، الى متحف الفاتيكان ، فتجولا ساعات في ابهائه وردهاته وممراته الطويلة جدا ، وعادت من الزيارة مسرورة راضية. وفي المرة الثانية خرجت معه

وحدها الى ميدان القديس بطرس ، ومن هناك ركبا عربة حنتور راحت تتبختر بهما مصعدة بين الازقة الضيقة وحواري حي (تراستيفيري) المرصوفة دروبها بالبلاط الاسود ، الى قمة « الجانيكولو » . وعلى القمة المطلة على اكثر احياء روما ، حتى البعيدة المترامية منها ، قضت كريستين وصادق نصف ساعة في استمتاع وتجانس لذيذين ، وعادت كريستين منشرحة الصدر ، بادية الغبطة ، وراحت تحدث رومانا بغبطة عن تلك النزهة الجميلة .

لقد زال من نفسها، بعض الشيء، شعورها بالعزلة، ووجدت فتى غريبا مثلها تأنس اليه وتطمئن الى رفقته . وفرح صادق بذلك كثيرا ، فقد كان الشاب الوحيد الذي نال مثل هذه الحظوة لدى الفتاة البولونية الانعزالية الفاتنة . وكانت نظرات الحسد تلاحقه ، على الاخص من الشبان الشرقيين ، الذين كانوا يتهلفون على جلسة معها ولكنهم لم يفوزوا قط منها بغير الابتسامة العريضة المشرقة التي كانت طابع وجهها العادي الدائم مع الجميع دون استثناء .

وجاء مرة ضيف من بلدة رومانا ، في الشمال الايطالي ، يحمل اليها من والدتها هدية ، وطلب الى رومانا ان تأذن له بسهرة يقضيها معها في احد المراقص تلك الليلة . فلم تمانع رومانا ، بل وعدته بان تنتظره في المساء هي وزميلتها كريستين واحد الاصدقاء الاخرين لكي يقضوا السهرة معا . وفي المساء حين جاء الضيف بسيارته (الفيات) الصفراء الصغيرة ليأخذ رومانا ، كانت هي وكريستين وصادق ينتظرونه في ردهة المنزل على اتم استعداد .

كانت الساعة التاسعة والنصف ليلا حينما دخل الاربعة الى المرقص ، على مقربة من شارع (فينيتو) الذي لا ينام ، وكان الضيف يتأبط ذراع رومانا وصادق ذراع كريستين . وترك الاربعة معاطفهم عند الباب لدى حافظة الملابس ، وتسلموا قسائم بطاقاتها ، ونزلوا الدرجات الست المفضية الى قاعة الرقص المعتمة يتلمسون مواطىء اقدامهم ببطء وحذر شديدين على الاشعة الخافتة الحمراء التي ترسلها الاضواء الحمراء الواهنة المنتشرة في سقف القاعة وفي جوانبها . ومن امام البار مر الاربعة بتؤدة وهم يتلفتون الى جميع الزوايا بحثا عن



عيسى الناعوري

•

مكان يجلسون فيه ، فلم يجدوا غير زاوية في صدر القاعة فيها مائدة مستديرة صغيرة ، امام ديوان جلدي احمر اللون مستند الى الحائطين المتلاقيين عند الزاوية المظلمة . فانطلقوا الى هناك واتخذوا مجلسهم حول المائدة الصغيرة . وجاء النادل فطلبوا زجاجة شمبانيا . وبعد نصف ساعة شرعت الاوركسترا تعزف الالحان الراقصة وتدعو الرواد المنزوين في الظلام الى الحلبة .

وكان الضيف ورومانا اول المستجيبين لدعوة الاوركسترا ، وتخلف صادق وكريستين وحدهما في القرنة المظلمة وامامهما اقداح الشمبانيا نصف الفارغة . ولم تلبث كريستين ان نهضت واقفة ومدت يدها الى صادق وقالت :

ــ هلم بنا نحن ايضا لنرقص

كانت الغبطة طافحة على وجهها ، وفي صدرها دعوة صارخة الى الرقص والى المرح والفرفشة واللذة . غير ان صادق بقي مترددا لحظة ينظر اليها وكانه يقول لها متوسلا : « انا اكثر سعادة بان اظل الى جانبك وحدنا في هذه القرنة » . ولكنها لم تترك له مجالا للتردد ، بل عادت تشد يده وتقول تستحثه :

ــ هلم بنا نتبعهما . لقد كادت المعزوفة الاولى تصل الى نصفها .

فنهض صادق وسار خلفها الى وسط الحلبة وقلبه يدق اسرع من انغام الرومبا التي تعزفها الاوركسترا . وتماسكا ، وراحا يدوران في الحلبة: خده على خدها ، ويداه تطوقانها تطويقا ، وانفاسهما المتقاربة تتردد حارة في فضاء القاعة الضيقة المترنحة بانفاس المخمورين ، وبالاضواء الحمراء الباهتة التي تدعو الى الحب واللذة . وعلى جوانب القاعة ازواج متعانقة متلاصقة ، غارقة في لذاذات العناق، فما تأبه للرقص ولا تحس بالراقصين ولا بالاقدام المتسارعة على مقربة منها في دورات الرقص المرحة .

ووصل الزوج الراقص (صادق ــ كريستين) امام شاب وفتاة متعانقين عناقا طويلا شديد الالتصاق. ووقعت عينا كريستين عليهما ، ولم يكن صادق قد قبلها من قبل، وثارت المشاعر الحادة ، فرفعت خدها عن خد صادق وقالت :

انظر ماذا يفعل هذان !

فنظر صادق نحوهما ، ولم يفطن الى ما تريد رفيقته ، بل ابتسم وقال :

ــ انهما ينعمان بالحب . فلندعهما للذتهما !

وعاد يشد على خصرها بطوق يديه ويمضي في دورانه دون ان يقبلها او يفطن الى ان سؤالها لم يكن سوى دعوة غير مباشرة الى القبلة ، القبلة الحارة الملهوفة. فمضت تدور معه في الحلبة بشيء من البطء ، وعيناها لا ترتفعان عن الفتى والفتاة الفارقين في عناقهما الشديد لا يريدان ان يشبعا منه . واحس صادق بان صدرها قد اخذ يعلو ويهبط بسرعة، وخدها لم يعد يلتصق على خده ، وقد اخذت خطاها تتباطأ وتخطىء في حركات الرومبا ، وارتخت يدها المحيطة بظهره . ولكنه ظل منصرفا الى الرقص ، لا يفطن الى التغير المفاجيء الذي اعترى رفيقة رقصه.

وانتهت معزوفة الرومبا حالا ، واخذت الاوركسترا تعزف معزوفة تشا تشا تشا . ولم يكن صادق يجيد هذه الرقصة الجديدة ، فهم بالتوقف عن الرقص والعودة الى الزاوية مع رفيقته ، ولكنه رآها فجأة تشد على ظهره بيدها بقوة ، وتمسك بذراعه بيدها الاخرى ، وتقول :

ـ هيا ! تشا تشا تشا . . .

ثم تأخذ في القفز السريع مع انغام الاوركسترا ، وتدور برفيقها بعنف دون ان يعرف هو كيف يحرك قدميه بالرقصة الصاخبة . وكأنما اضيف جهله بالرقص الى غفلته عن دعوتها اياه الى تقبيلها ، فراحت كريستين تقفز وتدور بهبعنف وحدة وهو لا يستطيع مشاركتها . ثم انفجرت بالبكاء دفعة واحدة وعلى غير انتظار منه ، فغطت وجهها بيديها ، وتوقفت عن الرقص ، واستدارت ماضية الى الزاوية . ولحق بها صادق مبهوتا ، يحاول ان يسكتها ويسألها عن سبب بكائها المفاجيء ، ولكنها كانت قد تحولت الى اعصاب ثائرة مجنونة لا تهدأ . وحاول ان يقدم لها الشراب لكي يهدىء ثورتها، ولكنها ازاحت الكأس بيدها بعنف الى اقصى استدارة المائدة . ثم تناولت منديلها من حقيبة يدها ومسحت به دموعها ، ثم اعادته الى الحقيبة ، وقالت بايطالية هزيلة كانت تجاهد بها المفردات لتجيء مفهومة :

ـ هلم بنا نعد الى المنزل . لم تبق بي رغبة في الرقص !

ـ ولكننا جئنا الى هنا مسرورين، فما الذي حدث لك ؟

ـ لا شيء . عد بي الى المنزل . او ابق هنا اذا شئت وسأعود وحدي !

ـ ولكنني لا افهم ما الذي يدفعك الى هذه الثورة ؟

ـ ولن يقدر لك ان تفهم شيئا ابدا ! دعك ناعما في جهلك . .

ـ موقفك غريب . . دعيني افهم شيئا مما جرى لك !

ـ لن تفهم شيئا . قلت لك لن تفهم شيئا ، ولا حاجة بك الى الفهم !

قالت هذا وادخلت علاقة الحقيبة في يدها ونهضت واقفة . ولكنها قبل انتستدير لتنصرف رأترومانا والضيف يقفان امامها متحيرين . وقالت رومانا في دهشة بالغة :

ـ ما بك يا كريستين ؟

ـ لا شيء ! اشعر بضيق كثير واحتاج الى الراحة .

ـ ولكنك كنت مرحة مغتبطة ، فما الذي جرى ؟

ـ لا شيء . يجب ان اعود الى سريري ، فانا متعبة جدا !

ولم تفد شيئا محاولة رومانا والضيف وصادق في ثنيها عن عزمها ، وفي وقف الدموع المنهمرة على خديها . فاضطر الضيف انيترك رومانا وصادق وحدهما في المرقص ليوصل كريستين بسيارته الى المنزل ثم يعود الى المرقص من جديد لمتابعة السهرة .

وفي صباح اليوم التالي التقى صادق ، وهو في طريقه الى الفطور، برومانا وكريستين معا : فالقى عليهما تحية الصباح ، فلم تلتفت اليه كريستين ، اما رومانا فقد ابتسمت ابتسامة سريعة غير راضية ، وردت على التحية ثم عادت بسرعة الى تجهمها غير المألوف ، وتابعت الاثنتان طريقهما دون ان تعطياه فرصة لكلام اخر .

واستبد القلق بصادق . انه يريد ان يعرف السبب في ثورة كريستين المفاجئة في المرقص الليلة الماضية ، وفي انصرافها الان عنه هي ورومانا معا . لا بد ان يكون هناك سبب لا يعرفه ، ولعل في وسع رومانا ان تبوح له به . والتقى برومانا بعد الظهر خارجة من غرفتها وحدها ، فاسرع اليها وسألها :

ـ رومانا ! ما الذي حدث لكريستين ؟ ارجوك ، قولي لي ماذا حدث لها ؟

ـ لا شيء . لا شيء !

قالت ذلك مقطبة الوجه ، دون الغضب والاحتقار . فعاد صادق يسأل متعجبا ومتحيرا من هذا الغريب :

ـ ولكنني لست افهم شيئا مما حدث !

فهمت رومانا بمتابعة المسير دون ان تجيب على سؤالها ، ولكنه قفز مسرعا ووقف امامها :

ـ اريد ان افهم . لا بد ان اعرف الموقف الغريب :

ـ من اين لك ان تفهم ؟ ومن قال لك انك تستطيع ان تفهم شيئا ؟ انك غبي ، بليد الحس مع النساء !

ثم تحولت عنه ومضت فيسبيلها بخطاها الحجلية السريعة ، قاطعة عليه السبيل دون اي سؤال آخر .

عيسى الناعوري — **عمان**

رحـــلة صيـــاد

مثلما تنداح في الافق.. على الشط.. غمامه
مثلما تبحث عن أفراخها البيض حمـامـه

مثلما ينساب في العيد يتيم خلف لعـبه
مثلما يرتج مبحوحا اذا هزتـه رغبـة

كان صياد يجوب الشاطىء المخنوق وحده
ويناجي في سكون الصمت واللاشيء صيده

كان يمشي .. مثلما ينسل في الليل نداء
مثلما تصفر في القيثار اصـداء غنـاء

يتنزى شوقه المصفود طفلا فـي يـديه
ويسجى كل الوان المـدى في مقلتيـه

وخطاه تصفع الشاطىء.. اعشابا وصخرا
والذي يحمل فيه صيده .. ما زال قفرا

وتهاوى خلف ظل شاحب.. تحت شجيره
تنحني تغسل كفيها بأمواج البحـيره

اطبق الجفنين فـي شبه ذهول واسترواح
وتمنى أن يعيش العـمر من غير جراح

كم تمنى أن يعيش العمر في الظل غريبا
يرتدي سرواله شوكا واعصارا رهيبـا

يأكل الخبز قديدا .. يمضغ الماء صديدا
كم تمنى أن يعيش العمر في الظل وحيدا

لا يرى اطفالـه في الكوخ يبكون جياعا
وينامون اضطجاعا .. اويعيشون ضياعا

لا يرى اطفاله في السيل يحيون عرايـا
يحصدون العمر وهما.. ويموتون ضحايا!!

وتمطى الف اعصار بجنبيه.. فقـامـا
يزرع الشـاطىء والاغـوار بحثا وهيامـا

كان يستجدي جبال الموج شيئا.. اي شيء
ربما من أجل من مات مرارا وهـو حي

والشباك الرئة العمياء لا تمسـك صيدا
وكان البحر امسى نـاضب الاعماق صلدا

وتمطى الف اعصـار بجفنيه .. فاطرق
فراى في صفحة النهر طيوفا تـترقرق

خيل اليأس لعينيـه مع الاطياف صوره
لصـغير يذبح الاعصـار والجدب زهوره

لصـغير يغزل الليل بكـاء .. ورجـاء
وحنينا ينشد الصيد مع الصبح غـــذاء

طفلـه السـاهد خلف الكوخ عريان المساء
ظامىء الاكواب..مصلوبا على ارض الشقاء

اترى يرجع بعد الجهد لا يحمـل شـيئا
غير ان يحمل وهما.. واعاصير.. ونوءا؟!

ربما الطفل بطن الجوع بخلا من ابيـه
ربما يهرب من قبلاته .. او يزدريـه

ربما ان عاد لا يحمل شيـئا .. ان يراه
ثم يرتد وقـد غامـت دموعا مقلتـاه !

كانت الشمس وراء الافق تصفر وئيـدا
وهو مـا زال على الشاطىء ينساب وحيدا

والذي يحمل فيه صيده ما زال قفـــرا
ورؤى طفل صـغير جائع تصليـه جمرا

غير ان الليل ارخى من حـواليه سـدوله
وكان الظلمة العميـاء لم تبصر ذبـوله

عـاد للكوخ .. فالفى طفله الشاحب نام
وارتمت في ثغره المهزوم اطيـاف طعـام

فانحنى في لهفة ظمأى عليه .. قبـله
ليـت قبلاتك عيشنا يابسا تهديـه لـه !

القاهرة — محمد احمد العزب

● الصراع بين الشرق والغرب
● اثر الثورات الكبرى العقائدية
● انقلاب الاوضاع السياسية في العالم
● خروج المارد من القمقم .

العوامل التي ادت الى تحرر آسيا وافريقيا

بقلم محمد جميل بيهم

***

حفل التاريخ بانباء صراع مستمر نشب بين الشرق والغرب ، ولاسيما بين اسيا واوروبا وكان سجالا . وعلى رواية تيبور مند في كتابه ثورة اسيا (١)ص ١٦١ ، « فان هذا الصراع لم يحمل هيرودوت على الوقوف امامه متأملا، فحسب بل كان حافزا له لان يتخذ منه موضوعا جوهريا » .

والحروب ترجع اسبابها الاساسية في التاريخ ، قديما كان ام حديثا الى الشؤون الاقتصادية ، والمعاش ؟ ولكن عناصر اخرى قد ترافق هذه الاسباب وتبدو وكأنها مصدر تلك الحروب . ففي العصور الغابرة كان يضري الصراع بين الشرق والغرب الى نزعات عسكرية هدفها المفاخرة بالمزيد من اتباع الملك ، وفي القرون الوسطى اتسم الصراع بحسم العقيدة ، وكان مداره نشر الدين فيما وراء تخوم وطنه ، والانتصار على اعداء ذلك الدين . واما في التمدن الحديث فان الاسباب الاساسية ، واعني بها الشؤون الاقتصادية كشفت عن وجهها النقاب ، وبدت طاغية على كل ما عداها من مصادر اخرى وعوامل . فعلى اثر اكتشاف قوى البخار ، واختراع الالة ازدهرت الصناعات في ارجاء اوروبا ازدهارا تم تعد تتسع له ، فانبرت الدول للتحري عن اسواق جديدة تؤمن لها تصريف مصنوعاتها ، وتضمن المزيد من المواد الخام لمعاملها التي كانت تتزايد يوما بعد يوم ، فانقضت اوروبا على اسيا وافريقية واستعمرتها كلها ، واستغلت خيراتها، وجعلت ما بقي منها مستقلا داخلا في نطاق نفوذها . ولكن معجزة وقعت في الزمن الاخير حملت اوروبا على الانسحاب كرها من مستعمراتها في اسيا وافريقيا على غير انتظار ، كما انسحبت من امريكا فما هي هذه المعجزة؟

انقلاب الاوضاع السياسية في العالم

تعتبر القارة الافريقية اكبر جزيرة في الكرة الارضية ، وتقدر مساحتها بربع مساحة هذه الكرة . وبما في افريقية من غابات وادغال ووحوش مختلفة وضوار كاسرة وبما فيها من سحر اسود وملل مختلفة ، ولغات متعددة كانت تعد بلاد الغرائب والعجائب . ولكن وجه الغرابة فيها على الاصح يعود الى تحكم خمسة ملايين مستعمر اوروبي فيها برقاب ٢٢٠ مليون افريقي كانوا يستأثرون دونهم بخيرات البلاد ، ويسومونهم سوء العذاب ، ثم هم يمنون عليهم وعلى غيرهم من المستضعفين بانهم يحملون اعباء تمدينهم وتحضيرهم ، ومكافحة النخاسة في ديارهم ! (٢) .

وكانت افريقية الى وقت قريب المعقل الاخير للاستعمار فاذا بمعجزة تظهر فيها وترفع في بضع سنين عن اعناق شعوبها سلاسل الاستعباد ، بل ترفع اعلام دولها المستقلة مكان الوية المستعمرين ، فينسحب هؤلاء منها منكسي الرؤوس والرايات . وكان من عواقب ذلك وقوع معجزة اخرى في العالم كله وهي اعظم من الاولى . ذلك بان افريقية التي كانت بالامس القريب بلاد العبيد والارقاء صارت بين عشية وضحاها صاحبة الكلمة الاولى ، بحكم

---

(1) Tibor Ménde, La révolte de l'Asie (٢) يقول فافرو : « ان موزامبيق وانغولا لا تزالان تعيشان حتى الان في القرن الخامس عشر ، وفي القرن الخامس عشر البرتغالي : عبودية على صعيد الزراعة، وعبودية في الاستغلال ذلك بان عملاء ليبول لا يزالون يحافظون على معاهدة عقدت بينهم وبين جمهورية اتحاد جنوب افريقية تقضي بسوق ١٣٠ الف عامل الى اتحاد جنوب افريقية سوق البهائم كل عام .» Ch. Henri Favrod. L'Afrique seule. P. 229 (٣) جريدة صوت الهند تشرين الاول ١٩٦٠. (٤) كان القديس اوغسطينوس والشاعر دانتي ، والمؤسس لوثير والفلاسفة باكون ، وبينتز ، ومونتسكيو، والعالم سورل ، والقائد مولتك يجاهرون بفوائد الحروب ، ويدعون بان الحروب كانت عنصرا قويا لتقدم المدنية مستشهدين على ذلك بما كان لفتوحات الاسكندر والرومان والعرب من الخير الكثير لهذا التقدم . (٥) كان تاليران السياسي الفرنسي لا يعترف في عهد نابليون الاول بغير حق الفتح . ولما تمت الهزيمة على نابليون حاول اقناع المؤتمرين بان يعاد لكل اسرة ما كان في ملكها ملوحا بحق الشعوب في تقريرمصيرها. (٦) نحن لم ننكر على الشيوعية هذه المبادىء الطيبة في كتابنا اسرار ما وراء الستار (الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية كانك تراهما) هذا الكتاب الذي اصدرناه سنة ١٩٥٨ في اعقاب زيارتنا للاتحاد السوفيتي والصين الشعبية ، ولكننا انكرنا عليها امورا اخرى ، وانتقدنا نظام الحكم السياسي ، وتسويفه ممارسة الاستعمار المبطن، في غضون محاربة موسكو للاستعمار . (٧) عندما انسحبت جيوش شان كاي شك عام ١٩٤٤ من الجبهة اليابانية لتحارب الشيوعيين الصينيين في مناطق الحدود استمر الاتحاد السوفييتي على تأييد شان كاي شك عملا بميثاق المعونة وعدم الاعتداء المعقود بين روسيا والصين عام ١٩٣٧ ، وكذلك في ايران حيث تخلت موسكو عن حكومة اذربيجان الشيوعية عام ١٩٤٦ فسقطت ، ثم لم تقم روسيا بأية دعاية جديدة في الشرق الاوسط ، اوفي اي جزء اخر من اسيا حتى الحرب العالمية الثانية (تيبور مند . ثورة اسياص. ١٣٢)

القانون الدولي ، في مصير العالم فضلا عن مصيرهـــا ، لان المجموعة الافريقية في جمعية الامم اصبحت تعد اكبر عدد من اية مجموعة اخرى اقليمية . وبالتالي فـــــان الكتلة الاسيوية ـ الافريقية اضحت اكبر كتلة فـــي الامم المتحدة بانضمام المجموعة الافريقية اليها .

وقد تعرضت وزارة الخارجية الهندية لهذا الموضـــوع بتقريرها الذي وضعه الرئيس نهرو على منضدتي مجلسي البرلمان يوم ٢٩ اب ١٩٦٠ ، وقالت :

« ان التطورات السياسية التي حدثت فـــي البـــلاد الافريقية خلال السنوات الماضية قد غيرت خريطة القارة: ففي اوائل سنة ١٩٥٠ كان في افريقية اربع دول مستقلة فقط ، هي مصر ، واثيوبيا ، وليبيريا ، واتحاد جنـــوب افريقية .وكان ما تبقى من افريقية تحت الحكم الاستعماري لدول غرب اوروبا بصورة ، او باخرى .

« وكانت الدول المستقلة تشغل تسع مساحة القـــارة الافريقية البالغ قدرها ١١ر٥ مليون ميل مربع ، كمـــا كان عدد سكانها اقل من ربع مجموع عدد سكان القارة . وما حل شهر اغطس ١٩٦٠ حتى كان الوضع قد تغيـــر تغيـــرا تاما : ففي التاسع من هذا الشهر بلغ عدد الدول المستقلة في افريقية عشرين دولة يضاف اليها ثماني دول اخرى محدد لاستقلالها عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ . وتبلـــغ مساحة هذه الدول ثلثي مساحة القارة ، كما يبلغ عـــدد سكانها ١٧٨ مليون نسمة من مجموع سكان القـــارة البالغ ٢٢٠ مليون نسمة (٣) »

والواقع ان الدول الاربع التي عدها هذا التقرير فـــي مصاف الدول المستقلة مصر ، واثيوبيا ، وليبيريا ، واتحاد جنوب افريقية ، وان كانت تتمتع بالحكم الذاتي فـــي سنة ١٩٥٠ الا انها ما كانت تخرج من نطاق مناطق النفوذ الغربي . زد على ذلك ان دولا اخرى افريقية احـــرزت استقلالها في سنة ١٩٦٢ ، وفي مقدمتها سيراليـــون وتنجنيقـــا والجزائر واوغندا ، وان دولا اخرى مثل كينيا ونياسالاند تحدد موعد استقلالها في عام تال .

وهذه المفاجاة التي جرت في مدى عشر سنين ، والتي لم تقتصر على تحرير افريقية ودخول دولها اعضاء فـــي جمعية الامم ، بل جعلت كتلتها الاقليمية اكبر مجموعـــة في هذه الهيئة كانت انقلابا في الاوضاع العالمية السياسية لم يتحدث عن مثلها التاريخ قط ، اما وان هذا الانقلاب قد وقع في عصر السرعة التي الفناها فان غرابته تبدو خفيفة في نظـــر المعاصرين لان السنة اصبحت الان بمقدار مائة سنة مما كانوا يعدون .

فكيف تم هذا الانقلاب العجيب ؟ هذا موضوع لا يزال بكرا ، لم يقع نظري على مقال تناولته بالذات ، ويرجـــع ذلك الى حداثة عهد الانقلاب ، فرايت ان اسد هذا الفراغ بالاستناد الى تتبعاتي الخاصة ، وبالافادة مما دونته فـــي مذكراتي في غضون مراحل النضال ضد الاستعمار .

ومن المفيد الاشارة هنا الى ان هذا الانقلاب لم يتم الا بتضافر العوامل الغربية مع الجهود الشرقية وان العوامل الغربية كانت هي الاصل في هذا الانقلاب والجهـــود الشرقية فرع . وسنتحدث هنا عن القسم الاول مـــن العوامل الخارجية على ان نستكمل الحديث عن الباقـــي منها في مقال لاحق ، ثم نستعرض العوامل الداخلية .

الافكار والاحداث الغربيـــــة

ان الانقلاب الجديد العجيب الذي شهدناه جميعا ليس هو وليد احداث معاصرة فحسب ، بل يعود ، في اسبابه الجوهرية ، الى افكار وحوادث قديمة وحديثة وقعت في ديار الغرب المستعمر . اجل وكما ان نواة القضـــاء على الاستعمار نبتت في نفس الزمن الذي ترعرع فيـــه الاستعمار ، اذ كانت الثورات العقائدية الغربية مصدرا للثورات الوطنية الاسيوية والافريقية ، فان الحروب التي نشبت بين الحلفاء وبين المحور هي التي عبدت الطـــرق لنضال الشعوب المستعمرة هذا النضال الذي حقق لهـــا امانيها الوطنية . وهذه الاشارات التي تبدو وكانها احاج سنحاول ان نرفع عنها النقاب حتى تبدو طبيعية غير عجيبة .

اثر الثـــورات العقائديـــة

كانت الشعوب الاوروبية حتى القرن الثامن عشر تعتبر ملكا للحاكمين والاقطاعيين ، وكانت بريطانيا العظمى وفرنسا على صراع مستمر حول الاستئثار بالزعامة العالية ، واما امريكا الشمالية فكانت مقسمة الى ثلاث عشرة مستعمرة انكليـــزيـــة .

ولما ثارت هذه المستعمرات في اواخر ذلك القرن ثورتها الاستقلالية كانت باريس تغذي هذه الثورة بحكم عداوتها للندن ، وبهذه المساعدة استطاعت امريكا ان تحـــرز استقلالها سنة ١٧٧٦ بعد حروب دامت ست سنين .

وهذه الثورة وملابساتها ونتيجتها كان لها فـــي الاوساط الاوروبية اثر بارز في بعث مبدا القوميـــات ، وحقها في تقرير مصيرها . فما ان شبت الثورة الفرنسية بعيد ذلك ، ووضعت دستورها سنة ١٧٨٩ في هذا الجو العابق بعطر المبادىء القـــومية حتى اقـــرت حق الشعوب في اختيار مصيرها ، ومبدا حق الافراد في التمتـــع بالحرية والمساواة والاخاء .

وقد حرصت حكومة الثورة على مراعاة مبـــادىء دستورها ، فلما فتحت حكومة الكنفسيون مقـــاطعـــات سافوا ، وكنيتة نيس ، والضفة اليسرى من نهر الريـــن ، والبلجيك عمدت الى استفتاء سكانها مستثنية من ذلـــك الطبقة الاريستقراطية فاختاروا الالتحـــاق بفرنســـا . ولكن ما ان استأثر نابليون الاول بالسلطة ، وبسم لـــه الحظ حتى طرح هذه المبادىء جانبا ، وشرع يهزأ بحـــق الشعوب في تقرير مصيرها . ولكن الحظ لـــم يـــرافق نابليون حتى النهاية . فقد انتهت الحروب الاوروبية بفشله ولما عقد المؤتمر الدولي لتسوية الشؤون الاوروبية حاول

الافرنسيون الرجوع الى مبدأ الشعوب في تقرير مصيرها وطالبوا بالتزام الاستفتاء (٥) فرفضت الدول المنتصرة هذا الاقتراح بحجة ان هذا الاستفتاء هو من مخلفات الثورة ، وانهم انما يعملون للقضاء عليها .

وكانت اسرة برنسويك ـ هانوفر ، التي استوت على عرش لندن سنة ١٧١٤ ، منصرفة الى توسيع مدى استعمارها ، ولتأمين زعامتها على البحار ، ولما ادركت امنيتها بالقضاء على نابليون راحت في سبيلها تحقق اهدافها ،وداست على مبادىء الثورة الافرنسية .وجرت مجراها سائر الدول الاوروبية . وما كانت كل هذه الدول تذكر المبادىء القومية ، وتعمل بها الا في قضايا السلطنة العثمانية . فكانت‌تنتصر للعناصر الثائرة عليها ، وتؤيد مطاليبها استنادا الى حق الشعوب في تقرير مصيرها . وكادت هذه المبادىء الانسانية تمسي نسيا مبنيا لولا ان الولايات المتحدة الاميركية التي لم تكن تفكر كغيرها بالاستعمار ، تفردت باحتضانها : فقد وضع توماس جيفرسون (١٧٤٣-١٨٢٦) ، وهو ثالث رئيس للجمهورية ، وثيقة الاستقلال التاريخية مقررا فيها «حق الانسان في الحياة الحرة على اساس المساواة ، وحقه بالثورة ضد الطغاة » ثم ايد الرئيس ابراهيم لنكولن هذه المبادىء ، وقال : « ان الحق في الثورة حق مقدس جدا، وهو حق نعتقد بانه سيؤدي الى تحرير العالم . »

ثم لما ثارت اميركا اللاتينية على نابليون الاول ايدها مونرو (١٧٥٨ - ١٨٣١) الرئيس الاميركي استنادا الى هذه المبادىء ، وكان شعاره « اميركا للاميركيين » . غير أن هذا الشعار اصبح شرعة للولايات المتحدة من بعد قضت عليها بالتزام العزلة عن السياسة العالمية . وهذه العزلة افسحت المجال امام الدول الاوروبية للتفاهم فيما بينها على اقتسام افريقية ، غير ذاكرة اية مبادىء انسانية ، وان تحكم ارجاءها بمقتضى شريعة الغاب اسوة باسيا التي كانت قد وقعت من قبل فريسة بين ايديها .

وقد اجتمعت هذه الدول في مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥. وكان الحافز لها للاجتماع الخوف من ان تؤدي شهوة التوسع الاوروبي الى نشوب حرب لا تبقي ولا تذر. وبجرة قلم واحدة وضعت خريطة جديدة لافريقية ، وتقاسمتها فيما بينها ، ولكن هذه القسمة لم تكن عادلة في نظر المانيا وايطاليا ، فعاد الاحتكاك الذي كان بينهما وبين انكلترا وفرنسا الى ما كان عليه قبل مؤتمر برلين ، واشتد حتى انبثقت منه شرارة اشعلت الحرب العالمية الاولى .

وهذه الحرب فضلا عن انها ذكرت المتحاربين بمبادىء حقوق الانسان والجماعات فاخذوا يلوحون بها امام الشعوب المستعمرة فانها ولدت ثورة كبرى كان لها الاثر الطيب في اخراج هذه المبادىء في الدعايات المفرضة الى حيز التحقيق . واعني بها الثورة الحمراء بروسيا التي انطلقت ابتداء من يوم ٢٥ تشرين الاول ١٩١٧ . وقد انتصر الثوار وعلى راسهم لينين ، واستولوا على الحكم، وانتهجوا بقيادة الحزب الشيوعي طرقا جديدة لحياة جديدة لم تكن معروفة من قبل .

فالشيوعية فضلا عن تأييدها مبادىء الثورة الافرنسية وتأييدها وثيقة جفرسون بما فيها من حق الثورة على الطغاة ، وذلك في خارج بلادها ، فانها جاءت تدعو الى اخوة عالمية شعارها السلام ، ومدارها المساواة بين‌العناصر دون اعتبار للالوان والاديان اسوة بالمساواة بين الافراد دون اعتبار للدرجات والطبقات (٦).

وقد اصابت الشيوعية بهذه المبادىء البراقة المحببة قلوب المحرومين والمظلومين ، وهم معظم افراد العالم وجماعاته ، واصابت من النجاح ما لم تدرك جزءا منه الثورة الافرنسية . ويرجع الفضل في ذلك الى ان الشيوعية كان من ورائها دولة ترعاها وتتخذ من مبادئها الخلابة سلاحا لها ماضيا في الصراع بينها وبين الدول التي تسميها بالراسمالية .

وقد انتصر المعسكر الشرقي على المعسكر الغربي في هذا الصراع ، وكان من اهم اسباب ذلك ان موسكو القيمه على الشيوعية تركتها تمشي من ورائها دون ان تتظاهر بتأييدها ، وكانت تتخلى عنها احيانا في سبيل اكتساب القلوب التي تريد ان تكسبها(٧) . وهي مع ذلك كانت جد صريحة على تطبيق المبادىء الشيوعية حيال الشعوب المناضلة في سبيل استقلالها ، فتهب لمساعدتها في اثناء ثوراتها وبعدها ، وتخف لتأييدها في المحافل السياسية ، فكان لكل ذلك ما كان من الاثر في القضاء على الاستعمار.

وهذه الثورات ذات المبادىء الانسانية التي ذكرناها كانت للشعوب المناضلة في سبيل التحرر ، بمثابة مستندات سياسية ووثائق تلوح بها وتستند اليها في غضون كفاحها للاستقلال ، وكذلك كانت بالنسبة للدول التي ايدت تلك الشعوب .ولكن الاسباب التي كانت كالديناميت في تهديم صرح الاستعمار فهي تعود الى الحربين العالميتين الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، والثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ اللتين لم تبدلا جغرافية الكون فحسب ، ولم تغيرا التوازن السياسي الدولي فقط ، بل حملتا الدول على اثارة شهوة الاستقلال في نفوس الشعوب المستعمرة ، وحفزتا بالتالي هذه الشعوب المتألمة‌للاستعانة بالثورات في اعقاب الحربين بغية ادراك امانيها الوطنية، حتى اذا نشبت الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي واتخذ المعسكر السوفييتي من انتفاضات الشعوب المستعمرة سلاحا ماضيا له اسفر النضال عن العثور على الاستعمار صريعا في المعركة الحاسمة .

وهذه الناحية المهمة في تاريخ التحرر البشري سنلم بها في مقالنا التالي .

محمد جميل بيهم

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي
من العروة الوثقى في لندن

***



قد فرقت بين معنى (المدنيـــة) ومعنـــى (الثقافة)واخشى ان لا يجد الكثيرون مبررا لهذا التفريق . ولكن الذي حدا بي الى ذلـك ان التراث الاغريقي يجب ان لا يعد اساسا للمدنية الغربية وان كان اساسا للثقافة الغربية . وقد جلب انتباهي الى هذه النقطة الاستاذ هاردي في كتابه عن اساسات الفكر الحديث ، فقد انكر هذا الاستاذ ان يكون التراث اساسا للمدنية الغربية ، لان الفلاسفـة اليونان ، سقراط وافلاطون وارسطو ، الذين كان لهـم اكبر تاثيـر فكري في الغرب لم يكونوا في الحقيقة دعاة للعلم النظامي باجمعه ، بل انهم دعوا الى عدم دراسـة الحوادث الطبيعية والظواهر العملية واستنتاج القوانيـن العلمية منها بحسب اسلوب الاستقراء او الاسلوب العلمي وقد ذكرت شيئا من ذلك في مقال سابق ، واريد الان ان اتناول الامر من ناحية ثانية .

كانت الفلسفة اليونانية القديمة تبحث في الطبيعة وفي تفسير الكون ، كفلسفة ديمقريطوس ، ثم انتقلت الى الطور المثالي ، كفلسفة افلاطون ، ثم انتقلت الى طور الشك كفلسفة برو Pyrrho وكان مع الطبيعيين فلاسفة مثل فيثاغورس يخالفونهم في اختيار افضل السبـل للوصول الى الحقيقة . فالطبيعيون كانوا يطلبون الحقيقة في دراسة الطبيعة ودراسة الظواهر الطبيعية ، وكـان الفيثاغوريون يقولون بالاعتماد على الرياضيات والفكـر المجرد ، وهنا انقسمت الفلسفة اليونانية الـى فلسفـة طبيعية من جهة واحدة والى فلسفة رياضية او جـدلية من جهة اخرى . وكان سقراط من اول الفلاسفة الذين انشقوا عن الفلسفة الطبيعية وانضموا الـى الفلسفـة الرياضيـة . وكان افلاطون رياضيا ، فلم يتاخر عـن الاقتداء باستاذه . فكانا يعتقدان ان العلم الرياضي هـو افضل العلوم لانه لا يعتمد في صحته على الحواس ، بل يمكن معالجته ومحاكمته بالعقل وحده . ثم ان العلـم الرياضي مستقل عن الخبرة الحسية من وجهين : الاول انه يبحث في مسائل عقلية مجردة والثاني انه ثابـت محقق بالذهن بعكس الامور العملية الحسية التي تحتـاج الى تحقيق عملي حسي لا يركن اليه . ويتضح ذلك من علم الهندسة بين العلوم الرياضية ؛ فان الهندسـة تبحث في الخطوط مثلا ، ولكن هذه الخطوط يجـب ان تكون مثالية كمالية على صوره لا يدركها الا العقـل ، وجميع الخطوط التي نرسمها ، مهما كانت الاقلام دقيقه والعنايه فائقه ، لا يمكن ان تكون الا شبيهـه بالخطوط المثاليـة وقريبة منها لا غير . فالخطوط الموجوده فـي الطبيعة خطوط غير صحيحه ، ولا يمكن ان تصـل الـى درجة الكمال التي عليها الخطوط الموجوده في الذهن . اذن للاشياء صورتان : صورة موجوده فـي الطبيعـه ، وصورة موجودة في العقل المجرد . والصوره العمليـة هي الصورة الاصليه والمثالية ، والصوره الطبيعية نسخة غير مضبوطة عن الصورة الاصليه . فالطبيعه هي مكان الصور الناقصة الغير الصحيحة وعلم الامثله هو مكان الصور الكاملة الصحيحة . وقد تصل الصور الطبيعيـة الى درجة الكمال المثالي اذا بلغ التحسين فيهـا حـد النهاية ، كالخط التقريبي في الهندسه التحليلية الـذي لا يلتقي مع الخط الاصلي الا في النهاية . ومعنى ذلـك كله ان الاعتماد على الصور الموجودة في الطبيعة يـؤدي الى الخطا ، والاعتماد على الصور المثالية هو السبيـل الوحيد للوصول الى الحقيقة . فيجب اذن العكوف على التفكير وحده ، واستخلاص الحقائق بطريقة المنطـق والتامل الفكري . والصوفيون يتطلبون من اجل الوصول الى الحقيقة ان يرق جسم الانسان ويرهف تفكيـره حتى يستطيع امتصاص الحقائق العلوية .

فبهذا الانصراف عن دراسة الطبيعه مباشرة وهـذا الاشتغال بالتفكير المجرد وحده كانا عاملا مهما في تاخير العلم النظامي قرونا عديدة ، وابعاد الناس عن البحـث العلمي . وهذا راجع في الاغلب الى فلسفة افلاطـون اولا وارسطو ثانيا ، تينك الفلسفتين اللتين سيطرتا علـى الافكار قريبا من الف سنة وادتا الى تلك النتيجة المحزنة. وهنا اريد بهذه المناسبة ان التفت في البحث قليـلا الى فلسفة القرون الوسطى في اول عهدها فـي القرن الرابع، حينما كانت لا تزال تحت نفوذ الفلسفة اليونانية التـي كنا في بحثها آنفا . وزعيم فلسفة القرون الوسطى فـي اول العهد فياوروبا هو القديس اوغسطين (٣٥٤ — ٤٣٠) وكان في فلسفته تابعا لافلاطون . ولشرح فلسفته بصورة موجـزة فاتي بمثال رياضي . لناخذ هذه المعادلـــــة الحسابية البسيطة : ٢ + ٣ = ٥ هذه حقيقة ثابتة لا نزاع فيها ، مهما كانت انواع الاشياء التي نختار منها العـدد ٢ والعدد ٣ ، فالمجموع هو هو لا يتغير . فالاشيــاء المحسوسة مهما تغيرت لا تغير في الحقيقة الثابتة وهي ان ٢ + ٣ = ٥ ، فهي حقيقة يمكن ان نسميها مستقلة قائمـة بذاتها ولا تعتمد في وجودها على الحواس . وهي ايضا حقائق لا تتغير ولا تتبدل : مستقلة عن الحواس

وثابتة . ولا توجد هذه الا في الفكر ، بل هي التي تسيطر على العقل ، ولكن العقل لا يخلقها ولا يغيرها ، بل هي موجودة من الازل كأنها نزلت في اللوح المحفوظ . ولكن السؤال الذي يرد على البال هو انه كيف تسنى للعقل ان يصل الى هذه الحقائق الفكرية المستقلة الثابتة وهو بطبيعته عرضة للتغير وللخطأ ؟ والجواب عن ذلك في راي القديس اوغسطين هو ان الحقائق من هذا النوع تعتمد في وجودها على مصدر علوي واحد وهو الله ، فوجود هذه الحقائق لا يكون الا بوجود الله ، او بعبارة اخرى كما في الاسلام ، ان الله هو الحق . ويتخذ القديس اوغسطين مقدرة العقل البشري على اكتشاف الحقائق السرمدية دليلا على وجود اله سرمدي . بقيت نقطة اخرى وهي كيف اننا نتحقق من ثبوت هذه الحقائق، مع العلم بان العقل نفسه معرض للتغير والخطأ . وجواب القديس وغسطين عن هذا السؤال ان الشعور بالتحقق من صحة الحقائق التي يكتشفها العقل مصدره (النور الرباني) . وهذا النور الذي ينعم الله به على كل انسان مهما كانت حالته الروحية والاخلاقية ، يمكن العقل من ادراك ثبوت الحكم وضرورة صحته . ويساعد هذا النور على ادراك درجة الاشياء والمعاني من حيث مقايسة بعضها ببعض ، كان يدرك العقل مثلا ان شيئا اجمل او اقل جمالا من شيء اخر بالقياس الى مستوى مثالي . وللاشياء بحسب نوعيتها مستويات مثالية ، وهذا ما قرره افلاطون في فلسفته المثالية ، وقال عن وجود مثل عليا ليست الاشياء المحسوسة الا صورا ناقصة عنها . وكان اغسطين يؤمن بهذه الفلسفة الافلاطونية ، ولكنه اتبع الفلسفة الافلاطونية الجديدة بانه قال ان المثل العليا موجودة في العقل الرباني ، وهي المعيار او الدستور الذي يسير عليه الخالق في خلقه للاشياء . وهذه النظرية الاوغسطينية كانت موضع جدل وخلاف بعد ذلك ، ولكن الفكرة العامة بان العلم نور من الله عرفت ايضا عند المسلمين كما قيل :

شكوت الى وكيع سوء حفظي	**فارشدني الى ترك المعاصي**
واخبرني بان العلم نور	**ونور الله لا يهدي لعاصي**

فهذه النظرية الفلسفية في القرن الرابع لم تساعد على نشوء العلم التجريبي او الطبيعي لانها مبنية على نظرية افلاطون في المثل العليا . ولم تساعد نظرية توما الاكويني في القرن الثالث عشر ١٢٢٤ – ١٢٧٤ – على نشوء هذا العلم ، ولو انها استعملت المنطق الارسطي ، لانها كانت تعتمد على النقل والتنزيل اكثر من العقل ، كما بينت في مقال سابق . ومن هنا يتبين ان التراث الاغريقي كان اثره في الغالب من الناحية الثقافية وليس من الناحية العلمية الطبيعية التجريبية بحسب الاسلوب العلمي المعروف ، وبحسب قواعد الاستقراء ، واستنباط الاحكام من الظواهر والحوادث وليس بحسب الطريقة المعكوسة ، وهي تطبيق الاراء المتخذة عن غير دليل عملي على الظواهر والحوادث ، كما كان يجري في القرون الوسطى . ولذلك اعود فاقول ان التراث الاغريقي كان من اسس الثقافة الغربية اكثر من ان يكون من اسس المدنية الغربية .

وهنا قد يتساءل القارىء : واين موضع الفهماء من ذلك ؟ وهل يبقى للفهماء مكان في هذا العالم اذا استمرت المدنية على اتجاهها الصناعي الاختصاصي العلمي الدقيق الضيق في الوقت الحاضر ؟ هذا سؤال من اهم الاسئلة التي يتعرض للجواب عنها كثير من الكتاب والمفكرين ،وهو يتعلق بموضوع حيوي بالغ الاهمية ، وهو مستقبل هذه المدنية ومستقبل الثقافة معها في العالم اجمع . وقد يكفي ان نقول ان الاتجاه العام هو ازدياد المدنية اي ازدياد العلم النظامي والفن الصناعي (تكنولوجيا) وازدياد التخصص الضيق ، وتناقص الثقافة من دين وآداب وفنون ولغة وغيرها . ومعنى ذلك ازدياد العلماء الطبيعيين وتناقص المثقفين ، ومعنى ذلك ايضا تناقص المفكرين الاجتماعيين لعدم مقدرة هؤلاء مع تراخي الزمان من الالمام بنواحي العلوم المختلفة والاحاطة بطرف من كل منها حتى يتسنى لهم تكوين فكرة فلسفية جامعة . وكان هذا الامر سهلا على الحكماء في ايام العرب وغيرهم ، لان الفيلسوف او الحكيم كان حينئذ محيطا باكثر العلوم والمعارف الموجودة ، فكان باستطاعته ان يشملها بنظرته ويجمع بينها في نظريات فلسفية عامة . ولذلك فان انقضاء عصر المثل السياسية او المذاهب السياسية المثالية في العصر التاسع عشر لم يترك للفهماء دورا مهما يأخذونه في هذا العصر الذي هو عصر الاهتمام بالراحة المادية ، وبتوفير الحاجات على نطاق يكون اوسع فأوسع . ثم ان هذا العصر هو عصر العلم والاختصاص والخبرة ، اي عصر تجزؤ المعرفة . واذكر في هذه المناسبة قولا للمؤلف (ول ديورنت) في كتابه عن تاريخ الفلسفة وهو ان العلماء في الوقت الحاضر يعرفون اكثر فأكثر عن أشياء اقل فاقل ، وان الفلاسفة واصحاب النظريات يعرفون اقل فاقل عن اشياء اكثر فأكثر . وقد اصبح الاهتمام منصرفا الى الحقائق دون الفهم ، والى المعرفة دون الحكمة ، واتسع الفارق بين العلم والحياة . واصبح رجال الحكم لا يفهمون رجال الفكر ، ولم يستطع الذين يريدون ان يعلموا فهم الذين يعلمون . فكان الجهل قد اتسع نطاقه في هذه البحبوحة من العلم . واصبح الرجل العادي بين حاذف وقاذف : بين كهنة العلم الذين يتكلمون كلاما غير مفهوم وبين كهنة الدين الذين يمنونه بآمال لا تحقق . وعاد الامر الى ما كان عليه الحال في القرون الوسطى حينما كانت المعرفة وقفا على عدد محدود من الناس وطبقة خاصة . وفي هذا المأزق يقف المفكرون والفهماء في حيرة لا حول لهم ولا طول . وشرقنا العربي لا يزال بعيدا عن هذا الاتجاه ولكنه سائر في هذا الاتجاه ولا مناص .

لندن **حسن الكرمي**

اوتار متقطعـــة

شعر : شريف خزندار

ترجمها عن الفرنسية سعد صائب

نجني... نجنا يـــا الهي

قوضت غوارب اليم دعائم بيتي الهنيء السعيد
وانثنت تفشي روحي بطحلب اسود داو
نسجت العنكبوت كفن الاحياء
وسملت عيني كيما تدع فيهما اثارا
انا اعمى ، رهين محبس اللحظة الطويلة والقصيرة
احيا في أمسي باحثا عن غدي الثابت والمتغير
استحالت المرأة التي تلح علي في خدر الكاس
الى فرس بحر ، وعادت تمثالا
واضحى جسدها الذي عراه البلى ممزقا
تحت وهج شمس لاذعة
مزقا طويلة نتنة .

تركت يدي تسقطان
ودون ان التقطهما من الاثر الذي الم بعيني
بعثت بهما الى الدنس
ليرتدا الى قذرهما الاصفر
الذي ينساب من الجرذ وهو مشف على الهلاك .

وليت وجهي شطر الاله
« نجني .. نجنا فلقد ادى قابيل الثمن »
بيد أن اقوى من الصوت المجيب من السمـــاء
ثارت من حولي ضحكات مسعورة
لرقصة نار رهيبة جنائزية
مضت بخطى هائلة
كيما تخلد على الارض
جريمة الجنين الادمي ..

عينان نجــلاوان

•

عينا ليلى النجلاوان
اعيتا الفراغ
الذي سوته القيثارة في الليل
من ذرف عبراتها
مزق القلق المتفرد نياط قلبي
الذي بذرته القيثارة
وصنع الكرب من عروقي المجتثة .
الهوة الملأى بالفراغ
التي كانت دوما فاغرة فاها
ما انفكت منهمكة في فغر فاها العريض
تلتهم الشدو الحزين
كيما تصيره شجيا للقيثارة المحطمة
ويهوي الصدى المقرور
في عيني ليلى النجلاوين
ليهيم فيهما أبد الدهر .

شرود

•

اشرد في غيمات الشجن
الزاخرة بالنجوم
وادع هيولاي تموج في الكون
الذي ابدعته امس مساء
الجان اللامبالية

•

نفثت زهرة النسرين رضاب الندى
فنضب من الخباز
الذي امسى يتلظى من كل جانب
واهتاجت نفسه على العدم
كيما يهوي في الثرى
يواري عـــن بغض البشر
من أودى بهم الردى .

ابتغي ان اشيد داري
فوق حيز من الارض
في بقاع لا تخوم لها
حلت من بؤس وقتال
ضاما قوتي الى قوة اخوتي
ساليا الغيمات
التي ابدعها الهرب .

دمشق — سعد صائب

نهاية بطل

تمثيلية

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

اللوحة الاولى

(سليمان بن عبد الملك فيقصر الخلافة بدمشق وحوله بعض اشراف الشام. يدخل عليه موسى بن نصير فاتح الاندلس .. شيخ مهيب كلل الشيب راسه .. ورغم الثمانين التي بلغها ظل محتفظا بقامة مشدودة ، وعزم قوي ، وباس شديد .)

موسى بننصير : السلام عليك يا امير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

سليمان بن عبد الملك (يشذره بقسوة) : الحمد لله الذي مكنني منك يا عدو الله .

موسى : يا امير المؤمنين جئت اسلم عليك بالخلافة .

سليمان : اخرس يا عدو الله .

موسى : الرحمة يا امير المؤمنين .

سليمان : لا رحمني الله اذا رحمتك يا عدو الله .

موسى : (كانه يحدث نفسه) وهل انا حقا عدو الله . انني من التابعين ، ورويت عن تميم الداري ، تغمده الله برحمته ، وأفنيت حياتي في الجهاد ، ودوخت المغرب بعد حروب ضارية ، وكسرت جماح البربر ، وفتحت الاندلس ..

سليمان : وهل تمن علي بما افاء الله على المسلمين من فتوحات ؟

موسى ، انني لا امن .. ولكنني استجدي رحمة امير المؤمنين .

سليمان : لا ابقاني الله اذا ابقيتك .

موسى : ان قلب امير المؤمنين لا ينبض الا بالعطف ، ورحمته تسع كل شيء .

سليمان : امير المؤمنين لا يرحم العصاة الفاسقين .

موسى : وهل انا عاص فاسق يا امير المؤمنين ؟ لقد افنيت حياتي في خدمة الخلافة والاسلام .

سليمان : كيف سوغت لنفسك عصيان اوامري ؟

موسى : حاشاي ان افعل يا امير المؤمنين.

سليمان : أو تكذب يا موسى ؟

موسى : انني اقول الصدق يا امير المؤمنين .

سليمان (الى حاجبه) : ليدخل رسولي الى موسى . (ملتفتا الى موسى) لا ابقاني الله اذا ابقيتك .

(يدخل الرسول).

الرسول : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

سليمان : وعليك السلام . ايها الرسول الامين ألم تلق موسى في فلسطين ، وتنقل اليه أمري ؟.

الرسول : فعلت يا امير المؤمنين .

سليمان : ماذا تقول يا موسى ؟

موسى : لقد فعل .

سليمان : كيف تتمرد على اوامري ؟

الرسول : لقد طلبت اليه التمهل في مسيره الى دمشق ، وانباته ان الوليد على فراش الموت ، ولن يمكث طويلا حتى يذهب الى بارئه . وابلغته رغبتك ليتاخر بضعة ايام في فلسطين ليتسنى لك ان تقبض جميع المغانم التي جاء بها من الاندلس ، ولكنه ركب راسه ، وأمعن في عصيانه ، وابى الا ان يغذ السير الى دمشق .

سليمان (في غضب شديد) : وهكذا عصيت امري ايها الفاسق .

موسى : يا سيدي ... انني عبد مأمور ، وقد امرني اخوك الخليفة الراحل بالاسراع في العودة الى دمشق ، ونفذت امره لان الله امرنا بطاعته ، وطاعة رسوله ، وطاعة اولي الامر منا .

سليمان : انك تبرر عصيانك لي .

موسى : انا عبدك المطيع يا امير المؤمنين .

سليمان : انك بارع في تنميق الكلم ..

ولكن .. هذا لا يخدعني .. سانتقم منك افظع انتقام .

موسى : وهل هذا مكافأة لي على جهادي في سبيل الخلافة والاسلام ؟

سليمان : اياك ان تمن علينا ثانية بجهادك المزعوم .

موسى ، انا لا امن ..

سليمان : (مقاطعا) واين الاموال التي احتجنتها ؟

موسى : لم احتجن شيئا .

سليمان : لقد ابحت لنفسك الاموال التي افاءها الله على المسلمين.

موسى : علم الله .. انني لم اجاهد لاجل الغنائم .. لقد جاهدت لاعلاء كلمة الاسلام .

سليمان : الاسلام ليس بحاجة الى جهادك .. لقد نصر الله دينه قبل ان تدب على هذه الارض .

موسى : وهل انا الا عبد من عبيده ؟

سليمان : اين خبات الاموال ؟

موسى : قدمتها جميعا لامير المؤمنين .

سليمان : تابى الا ان ترى كذبك بام عينيك .. ادخلوا طارق بن زياد .

(بعد هنيهات يدخل طارق بن زياد بقامته الفارعة ، وبنيته الوثيقة ، وعينيه اللتين تتقدان ذكاء وحزما)

طارق : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

سليمان : وعليك السلام يا طارق بن زياد (الى موسى) هذا البطل احدى ضحاياك .. لماذا نفستعليه فتح الاندلس واضطهدته ؟

موسى : معاذ الله ان اكون قد اضطهدته .

طارق : تذكر يا موسى بن نصير انك خرجت من ماردة تريد طليطلة ، واسرعت لاستقبالك مرحبا بك ، والتقينا في موضع من كورة طلبيرة .. وترجلت عن فرسي عندما رأيتك اعظاما لك .. فما كان جزائي منك على بلائي في سبيل اعلاء كلمة الله ؟. لقد قنعتني بالسوط .

موسى : لانك خالفت امري .

طارق : لم اخالف لك امرا .. ولكن يجب ان تعلم ان القائد الحاضر في المعركة غير القائد الغائب عنها .

موسى : ماذا تقصد بهذا ؟

طارق : لقد مسك الحسد لما يسر الله لي من فتح عظيم ، فامرتني بالتوقف حتى توافيني ليكون لك هذا المجد العظيم ، بيد انني وجدت ان العدو مراوغ ، وقد يودي بنا اذا لم نتابع زحفنا ، وتابعت مسيري غازيا فاتحا ..

سليمان : ألم ينتزع منك الغنائم والاموال ؟

طارق : بلى يا امير المؤمنين .. لقد انتزعها لنفسه .

سليمان : واين هي يا عدو الله ؟

موسى ، قدمتها لك جميعها .

سليمان : ومائدة سليمان ؟.

موسى : انها بحوزتك يا امير المؤمنين .

سليمان : ورجلها الرابعة ؟.

موسى : وجدناها بثلاثة ارجل ، وصنعنا لها رجلا رابعة من الذهب .

سليمان : لقد احتفظت بها لنفسك ايها الفر .

احد اشراف الشام : ما هذه المائدة يا امير المؤمنين ؟

سليمان : تحدث عنها يا طارق .

طارق : ان هذه المائدة منسوبة الى سيدنا سليمان بن داود صلوات الله عليه . وكانت ملوك القوط تعظمها كثيرا ، فقد كان اهل الحسبة من القوط اذا مات احدهم يوصون بالمال للكنائس حتى اذا اجتمع قسم كبير من هذا المال صاغوا من الالات الضخمة من الموائد والكراسي من الذهب تحمل الشمامسة والقسوس فوقها الاناجيل في ايام المواسم والاعياد . وكانت في طليطلة تانق

الملوك في صنعها من الذهب الخالص المرصع بالدر والياقوت والزمرد ، ولم تر الاعين في مثل روعتها وبهائها ، ولقد غنمتها بنفسي .

موسى ، انا الذي غنمتها يا امير المؤمنين، وقدمتها لكم .

طارق : ان امير المؤمنين يعلم يقينا انني انا الذي غنمتها ، وسرقتها انت مني ..

موسى : أو تتهمني بأمانتي يا طارق ؟.

طارق : اين رجلها الرابعة اذن ؟.

موسى ، ضاعت ابان الفتح ..

طارق : لم تضع يا موسى .. ولكنني انتزعتها ، واحتفظت بها لانني علمت انك ستدعيها لنفسك امام امير المؤمنين .

موسى : انك تسرف في الخيال يا طارق بن زياد .

سليمان : لقد قدمها طارق لي .. ايها الحاجب ائتني بها .

(بعد هنيهات يدخل الحاجب حاملا رجل مائدة من الذهب الوهاج المرصع بالدر ، وفاخر الجواهر تأخذ الابصار ببريقها)

سليمان : أرأيت يا موسى ؟. انها خير دليل على كذبك .

موسى ، (متخاذلا) يا امير المؤمنين .

سليمان : اخرس .. لا انطقك الله .

طارق : لولا ان الهمني الله بانتزاع هذه الرجل من المائدة لانتصر موسى عند امير المؤمنين .

سليمان : الم يطلبها ؟.

طارق ، فعل يا امير المؤمنين .. وأصررت على انها ضاعت ..

موسى : الرحمة يا امير المؤمنين ..

سليمان : لا رحمني الله اذا رحمتك .

طارق : يا امير المؤمنين .. لقد كان بين اسراي حاكم قرطبة ، ولقد هم موسى بقتله لينتزع فضل اسره مني ، ومن مغيث الرومي سفير الوليد ، وفاتح قرطبة ، ولكننا هددناه بالشكوى لامير المؤمنين فارتدع ، وعجلنا بالسفر الى دمشق لنشكوه لك .

سليمان : سيكون انتقامي منك عظيما يا موسى بن نصير ..

موسى ، ارجو ان تكون سابقتي في خدمة الاسلام والخلافة شفيعة لي عند امير المؤمنين .

سليمان : (صارخا) خذوه .. وقنعوه بالسياط .. وادموا رجليه بالقيود .

اللوحة الثانية

(يزيد بن المهلب في قصره .. يدخل عليه موسى بن نصير شاحب الوجه، غائر العينين، رث الثياب ، زري الهيئة ، يتوكأ على عصا).

موسى : السلام على الامير .

يزيد : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .. تفضل بالجلوس يا موسى .

موسى : ما ارق قلبك ايها الامير. دعني واقفا .. انني لم اعتد الجلوس منذ زمن بعيد ..

يزيد : لا بد ان تجلس .

موسى (يتهالك على مقعد) : ما اجمل الجلوس بعد طول الوقوف والتطواف .

يزيد : انني ارثي لحالك يا موسى .

موسى : ما قدر كائن ايها الامير .

يزيد: اضرع الى الله ان يشملك برحمته.

موسى : وانا ادعوه ليل نهار ليسرع بقبض روحي لارتاح من هذه الاوصاب التي تنهال علي من كل صوب .

يزيد : كل شدة الى انفراج ..

موسى : الا شدتي .. فهي كل يوم في تزايد ..

يزيد : لا تقنط من رحمة الله .

موسى : ان الله سبحانه وتعالى قد نسيني .

يزيد : اين حجاك يا موسى ؟ ان الله لا ينسى احدا من عباده .

موسى : أستغفر الله .. (بعد هنيهات) ايها الامير كنت قد القيت عليك بنفسي عندما نكبني امير المؤمنين ، وقد علمت انني خرجت من السجن بفضلك ورعايتك .. فهل انا الان حر .. لاتفرغ الى عبادة ربي .

يزيد : لقد خفف عنك امير المؤمنين بعض الشيء .

موسى ، ماذا تعني ؟

يزيد : لقد من عليك باطلاق سراحك من الحبس .

موسى : وبعد هذا ..

يزيد : اولا .. أريد ان اسالك فاصغ الي .

موسى : سل عما بدا لك .

يزيد : لم ازل اسمع عنك انك من اعقل الناس ، واعرفهم بمكائد الحروب ، ومداراة الدنيا ، فقل لي : كيف حصلت في يد هذا الرجل بعدما ملكت الاندلس ، والقيت بينك وبين هؤلاء القوم هذا البحر الزخار ، وتيقنت بعد المرام ، واستصعابه ، واستخلصت بلادا انت فتحتها ، واستملكت رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرك ، وحصل في يدك من الذخائر والاموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرت بهالامتناع ما القيت عنقك في يد من لا يرحمك .. ثم علمت ان سليمان ولي العهد بعد اخيه ، وقد اشرف على الهلاك لا محالة ، وبعد ذلك خالفته ، والقيت بيدك الى التهلكة .

موسى : يا بن الكرام ليس هذا وقت تعديد .. أماسمعت : اذا جاء الحين غطى على العين .

يزيد ، ما قصدت بما قلت تعديدا ولا تبكيتا ، وانما قصدت تلقيح العقل ، وتنبيه الرأي ، وان ارى ما عندك .

موسى : اماترى الهدهد يرى الماء تحت الارض عن بعد ، ويقع في الفخ ، وهو بمرأى عينه ؟

يزيد : صحيح اذا جاء القدر عمي البصر .

موسى : ألم يرض عنى بعد امير المؤمنين؟

يزيد ، ليس كل الرضى .

موسى : والله ايها الامير لو تركني في الاندلس ، وابتعدنا جميعا عن هذه الصغائر لكنت الان اعليت كلمة الله في ارجاء الدنيا.

يزيد : كيف هذا ؟.

موسى : لقد وضعت خطتي لاجيء الشام من ناحية القسطنطينية ، ولو انقاد الناس الي لقدتهم حتى افتح بهم رومية .. ولكن قلب امير المؤمنين تغير علي لا لذنب اقترفته.

يزيد : (يبدو على وجهه الالم) يا لبؤس الاسلام في بعض خلفائه .

موسى ، كلمة حق .

يزيد : ان خليفتنا سليمان نكب ابطال العرب في غير سبب ظاهر ، فقد عصف بقتيبة بن مسلم الباهلي فاتح بلاد الترك حتى حدود الصين ، وبمحمد بن القاسم الثقفي فاتح السند والبنجاب .. وهذا انت فاتح الاندلس ، وممدوح افريقيا تلقى نفس المصير .

موسى (يبكي بكاء شديدا)

يزيد : لماذا هذا البكاء يا موسى ؟

موسى (يحاول ان يتجلد) لا تنسى ايها الامير ابني عبد العزيز خليفتي في الاندلس .

يزيد : رحمه الله .. لقد كان من الابطال الاشاوس ، ولقي نفس المصير .

موسى ، هل تصدق ايها الامير ان القوة تبلغ في انسان ما بلغته في سليمان بن عبد الملك ؟. لقد كنت في سجني اتلو القرآن عندما دخل علي السجان ، وفتح خرقة ورمى رأس ابني عبد العزيز بحجري ..

(يشتد بكاء موسى ، ويشاركه يزيد في البكاء)

يزيد : صبرا جميلا يا موسى .

موسى : وأنى لي الصبر ، وقد فقدت قرة عيني عبد العزيز . اللهم ان عبد العزيز كان تقيا نقيا خلص من الشوائب ، ونصب نفسه للجهاد ،واعلاء كلمتك .. اللهم اشمله برحمتك ، واسبغ عليه رضوانك .

يزيد : لقد اسرفوا في اتهامه .

موسى : قتلوه صواما قواما .

يزيد ، أصحيح انه تنصر ؟.

موسى : وهل تصدق أراجيفهم ؟.

يزيد : زعموا انه تنصر بدافع من امرأته ام عاصم .

موسى : اكاذيب واضاليل . لقد كان عبد العزيز راجح العقل ، كبير الايمان

نرنيمة صوفية

قلبي عليل ..
ودواه نظره ..
يا سالبي قلبي سلام
يا سادتي ، عفوا اذا اخطات في حق المقام
فالعفو من شيم الكرام ..
وانتمو اهل الكرم ..
اني عبرت ، اليكمو بحر الندم
اني فنيت بذاتكم حتى العدم
حتى العدم ..
الوجد عذبني وحرق مهجتي امل الوصول
امل اعيش عليه في شوق الى يوم القبول
يا عابر الصحراء كم تشويك نيران الطريق
ولكم يعذبك الظمأ
علل فؤادك بالامل
واسرع الى بئر السراب
واشرب فقد عز الشراب
وتظل يا بدر السماء
ابدا تحدق في الفضاء
ابدا تطل على الحياة
من برجك العلوي للارض الحزينه

وجه الحبيب
ابهى واسطع من قمر
واعز في شرع الوصول من القمر
لكن – يا مولاي – لي املا ، وقبلي من وصل
ولكل مجتهد نصيب ..
وانا غريب ..
وبقربكم وطني ، واهل شريعتي ، والواصلون
أغمست في ملح القناعة لقمتي
وملات من بحر الندامة جرتي
ودفعت في درب التوجع خطوتي
فمتى الوصال
ومتى انال
واحسرتاه على السنين الضائعات
واحسرتاه ..
واحسرتاه ..
واحسرتاه على الشباب
لو ضاع قبل بلوغنا
ما تشتهيه نفوسنا
واحسرتاه ..
واحسرتاه ..

عبد المنعم عواد يوسف
مصر الجديدة

استطاع بكياسته ان يوفق بين جميع الطبقات، ومزج بين العرب والبربر الفاتحين ، واصحاب البلاد الاصليين ، وتزوج بأرملة لذريق ملك الاندلس القوطي المسماة ايجيلونا ، والملقبة بام عاصم . وهدفه من هذا الزواج ان يكون قدوة لرعيته في تحقيق هدفه العظيم . لقد ادرك بثاقب فهمه ان السلام لن يتم الا اذا تقارب الشعبان : الفاتحون والسكان الاصليون ليرسخ دعائم الفتح .. فهل في هذا كفر ايها الامير ؟

يزيد : كلا يا موسى .

موسى : ولم يكتفوا بقتله ، بل اتهموه بالصبأ في دينه ، وهو الان عند احكم الحاكمين ، ولا بد ان تكون الجنة مثواه لعظيم جهاده وايمانه .

يزيد : وزعموا ان ام عاصم اوحت اليه ان يتخذ تاجا كملوك القوط السابقين ، وانصاع الى ارادتها .

موسى : انها اكذوبة ليستروا جريمتهم .

يزيد ، وقالوا ، انها طلبت اليه ان يرغم العرب على السجود له ، وجعلته يتخذ لمقر عمله بابا قصيرا يضطر الداخلون اليه ان يطاطئوا رؤوسهم .

موسى (متهكما) : ولهذا قتلوه .. ما اشد جرأتهم على الله .

يزيد : ولهذه الاسباب اوعز سليمان بقتله ، فانقض عليه خمسة من كبار العسكريين ، وضربوه .

موسى : ايها الامير قتلوه ، وهو يصلي بهم . واني واثق انهم ما كانوا يستطيعون ان ياخذوا من راسه شعرة لولا هذا الغدر اللئيم .

يزيد ، لقد كان رحمه الله بطلا عظيما .

موسى : ايها الامير .. لقد القى الله هيبتنا في قلوب الاعداء ، ولكن امير المؤمنين ابى علينا ان نعلي كلمة الله في العالم .. وفعل بنا ما فعل .. أما كان الاحجى به ان يدعنا نفتح الامصار ، ونؤثل الامجاد ، ونرفع راية العرب في كل صقع وناد .

يزيد : هذا كان اولى حقا .

موسى : اني راو لك حادثة حدثت لي لتحكم على الخشية التي ملأ بها الله قلوب الاعداء منا .. عندما حاصرت مدينة ماردة الحصينة .. كنا نياس من دخولها ، وعمدت

الى الحيلة ، واعطيت اهلها الامان ، ودعوتهم الى السلم .. فجاءني بعضهم ، ودخلوا علي في اول يوم ، ورأوني ابيض اللحية والرأس، وكنت في الثمانين من عمري ، وجاءوني في اليوم التالي ، وكنت قد صبغت رأسي ولحيتي بالحناء ، فعجبوا من حمرتهما ، وعادوا يوم الفطر ، وكنت قد سودت لحيتي ، فازداد عجبهم ، وقالوا لقومهم : انا نقاتل انبياء يتخلقون كيف شاءوا ، ويتصورون في كل صورة احبوا . كان ملكهم شيخا فقد صار شابا . والرأي ان نعطيه ما يريد ، فلا طاقة لنا بحربه .. وهكذا تم لنا النصر .

يزيد : الحرب خدعة .

موسى : ما اشد الامي عندما اقارن بين بلائي في الفتوحات ، والحالة الاليمة التي وصلت اليها ..

يزيد : شهد الله انني بذلت جهودا عظيمة لترقيق قلب امير المؤمنين عليك عساه يسمع كلومك ، ولكنه ابى ..

موسى (في يأس شديد) ابى ..

يزيد : لقد ذكرته بجهادك العظيم ، وقلت له .. انه عبد من عبيدك .. هبه اخطأ ، فارجو ان تمن عليه بالعفو ، وما زلت به في رجاء وضراعة حتى رضي ان يخفف عنك .

موسى : رضي ان يخفف عني .

يزيد : امر باطلاق سراحك من السجن .. ولكن ..

موسى : ولكن ماذا ايها الامير ..

يزيد : لقد رضي ان يهب لي دمك ..

موسى : وماذا يريد بعد ؟

يزيد : قال لي : انه قد اشتمل راسه بما تمكن له من الظهور ، وانقياد الجمهور ، والتحكم في الابشار على ما لا يمحوه الا السيف ، ولكنني لن ارفع عنه العذاب حتى يرد ما غل من مال الله .

موسى : يشهد الله انني دفعت اليه كل الاموال .. ولا املك درهما اقتات به .

يزيد : اخبرته بهذا ، غير انه زعم انك تحتجن المال لنفسك ..

موسى : يا رب .. لماذا خلقتني ؟

يزيد : يريد منك الف الف دينار ..

موسى : ماذا تقول ايها الامير ؟

يزيد : الف الف دينار ..

موسى : يا رب اين اجدها ؟. انا الذي لا املك قوت يومي ..

يزيد : ساتحمل عنك بعضها ..

(موسى بن نصير .. لا يسمع .. ويتهاوى ، ويقع مغشيا عليه)

اللوحة الثالثة

(موسى بن نصير يعاني وطأة المرض الثقيل في وادي القرى . لقد خذله الجميع سوى مولى له بقي وفيا امينا ولازمه)

موسى : انني احس بان روحي تكاد تفارق جسدي من كثرة الامي .

المولى : لقد ضقت ذرعا بهذه الحياة .

موسى : لا بد لكل مصيبة مهما عظمت من نهاية .

المولى : اما مصيبتنا هذه ، فلا ارى لها اي مخرج .

موسى : ارادة الله .

المولى : انني اطوف معك في احياء العرب لنسال المحسنين بعض المال لتدفعه الى الموكلين في تعذيبك ليخففوا عنك بعض العذاب .

موسى : واحسرتاه .. ان جدي العاثر اسلمني الى هذا البؤس الشديد .

المولى : ايها الامير .. لقد رأيتنا ايام الفتح ناخذ الاسلاب من القصور ، فنفصل منها ما يكون فيها من الذهب وغيره ونرمي به ، ولا تاخذ منها سوى الدر الفاخر .

موسى : واصبحنا الان نطوف على احياء العرب ، فواحد يجيبنا ، وكثيرون يهربون منا ، ولربما رحمونا ، فاعطونا درهما او درهمين ،فكم هي فرحتي عظيمة عندما كنت اضعهما في يدي لادفع بها الى سليمان بن عبد الملك .

المولى : اتريد الحق ايها الامير ؟.

موسى : وتناديني بالامير ايضا ؟

المولى : لقد اصبحت اكره هذه الحياة الخالية من كل راحة ... مللت الطواف في احياء العرب والاستجداء .. انني اتوق الى حريتي .. واريد ان استمتع بترف المدن، وحياتها اللينة ..

موسى (مكفهر الوجه) وهل تريد مفارقتي؟

المولى : بلى .

موسى : اتفعل انت هذا ؟

المولى : لقد اخلصت لك ، وتبعتك في كل مكان حتى كلت قدماي ، وضاقت انفاسي ، ودمي جسدي من التعب .. الست بشرا .. الا يحق لي ان ارتاح ؟.

موسى : أتسلمني ، وانا في هذه الحالة ؟

المولى : لم يعد في طاقتي ان اصحبك .

موسى : ارحمني .

المولى : اذا بقيت معك يوما اخر مت غما وقهرا . اما يكفيني ما لاقيت من عناء ؟. ان لنفسي علي حقا .. وانا مفارقك من غد .

موسى: ألا ترى الداء يفتك بي ؟. لمن تتركني في هذا الوادي المقفر ؟.

المولى : وماذا تريدني ان افعل اكثر مما فعلته ؟.

موسى : اتوسل اليك ان تبقى معي رحمة بشيخوختي الفانية .

المولى : لقد اسلمك خالقك ومولاك ، وهو ارحم الراحمين .

موسى : (تنهل الدموع من عينيه) صدقت .. صدقت .

المولى : انني ذاهب من غد .

افعل ما تشاء .

المولى : يعز علي ان افارقك .. ولكن ما حيلتي ، والتعب قد فراني .. وهذه الاودية القفراء ترعبني .. ألا لعن الله الجد العاثر .

موسى (يرفع يديه الى السماء) اللهم يا ارحم الراحمين .. انقذني من هذا العذاب الذي ينصب علي .. ان رحمتك وسعت جميع الكائنات .. فاقبض روحي .. وخذني اليك .. كفاني عذابا وتشريدا .. انت تعلم يا رب .. انني لم اقترف اي منكر.. وأمضيت حياتي عابدا فاتنا غازيا قارئا كتابك الكريم، راويا حديث رسولك .. خلصني يا رب .. وارحمني ..

(يحس موسى بخدر لاذ يسري في اعضائه ..)

ثم يتابع : ايها المولى الوفي .. انني لا اعرف كيف ازجي لك شكري .. ليوفقك الله .. وليرحمك .. انت حر منذ هذه الساعة ..

(يوقر النعاس جفونه .. فيستسلم الى نوم عميق).

المولى : ما اقسى الحياة .

(ويستلقي ، ويغطفي نومه .. ويستيقظ مع الشمس ، ويدنو من الامير ليوقظه ، ويودعه .. ولكن روح الامير كانت قد صعدت الى بارئها لتشكو ظلم الانسان للانسان ..)

المولى : (وهو يحفر القبر ليواري سيده) ما اتفه الحياة .. حقا انها حقيرة .. ما دامت هذه نهاية البطل .

طرطوس   محمد حاج حسين

آمنت باسمك

من ملحمة بعنوان « ميلاد المسيح »

رجمتك بالغيب الظنون وتساءلت عنك القرون
وتلفتت حقب اليك حوائرا ... ورنت عيون
شغلت بآيتك الخواطر : ما عساك ؟ ومن تكون ؟
المشركون المرجفون تحيروا ... والمؤمنون
قوم يقولون ابن داوود ، وقوم ينكرون
كعرت على الشبهات ايتك التي لا يفقهون
فتنتهم الدنيا الغرور فخلهم يتخبطون ...

هذا الوليد وفي عيون الكون شيء من رؤاه
يستعذب النجوى اذا طفرت ترددها الشفاه
محرابه الكون الفسيح مداه ان شاء الصلاة
أنى مشى سارت على درب الشقاء به خطاه
لا مال ، لا سلطان ، لا قربى ، ولا نعمى وجاه
في ساحه ذل الطغاة ومرغ الصيد الجباه
آمنت باسمك يا وليد الحق ، يا روح الاله

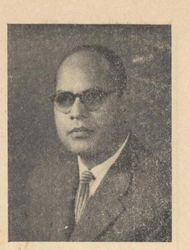
آمنت باسمك يا منار الرشد في دنيا الضلال
تهفو لك الافلاك حانية وترنو في ابتهال
سبحان من القى على المهد السكينه والجلال
والسنا المغارة هيبة وحبا الوليد بها الكمال
غمر السنا الدنيا فمالت نشوة من حيث مال
الكون اطرق خاشعا وتطامنت شم الجبال
وتلفتت دنيا يحيرها التلهف والسؤال ...

قد رحت تدعو في حياتك للمحبة والاخاء
في عالم لا يستبيح به الضعاف الاقوياء
الكل في نهج الحياة وشرعة الباري سواء
متراحمين ... فلا طغاة ، ولا عبيد ، ولا اماء
ضل القطيع اليوم درب الخير وانقطع الرجاء
تاهت خطى في الارض تسعى ليس تهديها السماء
لا تهد من احببت ... ان الله يهدي من يشاء

ميلادك انطلقت به الامال باسمة المحيا
حفلت به الدنيا والفت فيه معنى سرمديا
جبريل روح قد تمثل للورى بشرا سويا
بشراك يا اما حباها الله مولودا زكيا
من تحتها في المهد راح يكلم الدنيا صبيا
سبحان من آتاك آيته وكنت بها حفيا
وسلمت يوم ولدت ، يوم تموت ، يوم البعث حيا

لندن — **سعيد العيسى**

من « العروة الوثقى »



ابو طالب زيان

مصحف عثمان في البهنسا

بقلم ابو طالب زيان

***

في البهنسا وهي قرية من قرى محافظة المنيا بالجمهورية العربية المتحدة ، اسرة ذات مجد تاريخي عظيم ، توارث ابناؤها قرونا عدة ، اثرين عظيمين ، احق بالرعاية واخلق بالمحافظة .

ففي عام واحد وثمانمائة للهجرة ، تنزلت من مجلس القضاء الاعلى من مكة وثيقة تحمل نسب اسرة الاحوق الى امير المؤمنين : عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين، وتصف قضاء شرعيا لجد هذه الاسرة الاعلى بدارالرصافي، مما جعل ابان بن عثمان يفد الى البهنسا ، ويطلب ميراثه عن ابيه من اشياء هذه عدتها :

الف ومائة ناقة وجمل ، ومئتان وستون دينارا ، وعبدان سودانيان ، وجارية حبشية ، ومصحف مخطوط عتيق .

على ان اسرة الاحوق ، قد اعطته نصيبه من الميراث، وعوضته عن مصحف ابيه الذي تعهدته بالرعاية ، واحاطته بالتجلة الى ان زال حفاظها له ، وملكيتها لهذا الاثر الجليل .

كانت اسرة الاحوق التي تسكن البهنسا لا عمل لافراد اسرتها ، ولا كافل لهم سوى هذه الضريبة التي تدفع نظير المشاهدة ، او التبرك أن كان من أبناء الشرق من يميل الى السفرة المحمودة ، ويأخذ نفسه بالاطلاع على آثار الاولين ، وكانت الدار التي يقبع فيها هذا الاثر قد طارت شهرتها في افاق الارض ، حتى لم يبق في كثير من ايام السنة ، من تغلق دونه الدار الحبيبة الوامقة . وكان الناس يحسدون هذا البلد على ما اوتيه من فضل ، وما شرف به من نسب . فالطرقات آهلة والاسواق عامرة والارض لا تخلو من زائر عارف ، او طارق مستفهم عن الحشود الوافدة والحجيج الذي لا ينقطع ، بغية رؤية العين ، او اللمس المستطاب على مصحف خضبت صفحاته بدماء عطرة هي دماء عثمان بن عفان التي سالت وهو يردد قول الله جل شانه : « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » .

ولما كانت اسرة الاحوق ، تعرف تلهف الجماهير على المشاهدة ، وانجدابها الواعي ، لذلك عملت على ان يكون تلهفها لا يفتر ، ومشاهدتها لا تمل ، ففتحت دفتي المصحف على هذه الاية الكريمة ، امعانا في العطف ، وجلبا للزائرين من كل فج ، حتى كان يخيل للمشاهد للدم الغالي ، انه سكب لتوه ، وسال ليومه ، وان كانت قد مضت عليه اجيال ، وغبرت عليه قرون واحقاب .

غير أن الزمن كفيل بالتعفية ، وقمين بضياع قيمة الاثر ، مهما كان جليلا ، او له في حياة الامة ما يجعلها تعض عليه بالنواجذ ، فكان من جانب الاسرة الاهمال لقله المورد وتطور الزمن ، والدفع الذي اطاح بكل شيء حتى هذا التراث ، وكان الاستيقاظ من جانب حكومات اخر عرفت الكنه ، وعملت على البقاء في سياسة ناعمة واهمال متربص للظفر بهذا التراث المتواري الذي اهمله اصحابه ، وبات في طي النسيان .

وبدات المساومات تجد حينا ، وتتعثر احيانا ، وتنسى سنين الى ان ارسلت هذه الاسرة تعرض على بعض الحكومات من يبتاع هذا الاثر باي ثمن ، لاسيما وقد انقطع موردها او كاد ، وبات ابناؤها يساومون على هذا الشرف حتى بيع باقل ثمن ، وفقد مصحفنا التالد كما فقد خليفة المسلمين من قبل ، هذا بيد آثمة ، وذلك بيد ناعمة !

ومن العجيب ، انه كان في مقدمة الحريصين على اقتناء هذا المصحف الحكومة البريطانية بما لها من سياسة ، وما بيدها من سيطرة ، وكانت المفاوضات تجري في جو يعوزه التيقظ الى ما في هذا الرمز من تجلة ، وما يحويه من عظمة ، ولكن العوز وسوء الحال كانا الدافع الى بيع السماح لهذا الاثر المستباح .

ومما لا شك فيه ، ان الحكومة البريطانية كان حرصها اشد من حرصنا نحن على هذا الاثر ، وكانت نظرتها اليه اجل من نظرتنا نحن واسمى ، فوضعته في المتحف البريطاني ، وهو مكان معد لعرض هذه النوادر ، ومحجة

نهاية حب ..!

●

همد الهوى ما بيننا — انا لم اعد ابدا انا
يا حسن عهد منقض — بالذكر أصبح احسنا
فالذكريات مثيرة — فيها المنية والمنى
كانت لنا الدنيا مراحا وهي طوع أكفنا
نلهو بها متعانقين — كانما الدنيا لنا
والان مات الشوق في الاحداق بل في قلبنا
لا العين تغريني ولا — ذاك القوام اذا انثنى
حتى العيون تنكرت لي — كيف تنساني انا ؟
وانا الذي انشدتها — شعري الذي ملأ الدنى
وبه تغنى المنشدون ورددوه ملحنا ...
والان اصبح كل شيء — بعد ذلك محزنا
وتغير الماضي القريب — كأنه وكأننا
لا ما التقينا في الحياة — وما عرفنا بعضنا
وبنا الهوى نحن ابتدى — ثم انتهى من بعدنا

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

للزائرين من كل حدب ، فضلا عن تصميمه الذي يسعد الفن ان يلتقي به ، ويبلغ ذروته من حيث العرض والتنسيق والاضاءة ، مما جعل الزيارة له لا تنقطع والوفود اليه لا تمل بغية المشاهدة والاطلاع على هذا الاثر التاريخي الفذ الذي قبع سنين في بيت له مجده ، واسرة لها تاريخها هذه القرون التي مرت دون ان يجيش في نفسها صلتها بارفع نسب ، ويتحرك ضميرها فيدفعها الى الحرص والذود عن مصحف عثمان الشهيد الذي توارثته جيلا بعد جيل وخلفا عمن سلف .

ومما يبعث على الاستغراب ، ان تكون الكثرة الكاثرة من زوار هذا المتحف من الذين كان تحت يدهم هذا المصحف وعلى بعد كيلو مترات من اقامتهم ، وكانوا لا يفكرون في الذهاب اليه للمشاهدة او الاطلاع على دم عثمان الشهيد ، او العمل دون انتقاله الى مكان يكلف كثيرا من النفقات كأن نظرتهم اليه قد تغيرت ، وشوقهم قد ابتعث ، وحنينهم الى هذا الزاد قد اصابه التعجل ، فبات يسعى وراء هذا الاثر المفقود !

يشهد الزائر لهذا المتحف عن يمينه منظرا عجيبا كله السحر بما عكس عليه من اضواء ، وما احيط به من رموز هي غاية ما يتمنى المرء ان يستأني امامه ساعة او بعض ساعة : متكأ مستطيل تحيط به زخرفة مطرزة تجمع آيات مذهبة تضرب الى الحمرة اشارة الى الدم الفوار الذي سال فوق هذا الورق العتيد وتلك الصفحة بعينها التي حفظت دم الشهيد وهو يتلو آيات الله ، وما يعلم ما يأتي به القدر ، وما تخبيء له الايام !

على ان المتامل في هذه الطنافس التي فرشت بها ارض الحجرة ، يرى الفن العربي الاصيل ، يشع من خلال هذا التناسق الذي ازدان به المكان . فالاشعة البنفسية التي تفنن فيها الصناع ، وما تعكسه من انفعال تثير في النفس مختلف الاسئلة ، وشتى الاحاسيس ، يقف امامها المشاهد من شتى البقاع في حيرة من امر هذه الاعاجيب التي يضمها هذا المتحف الفريد . والتصميم الزخرفي الذي افتن فيه الفن الهندسي وما طعم به من سدل على الحوائط هي كل ما يتفرد به المتحف من بين متاحف العالم في البناء والتنسيق والزخرفة والطلاء الهادىء الجميل ، والفن الموحي بالتجلة والاحترام .

اننا حين نستنزل الرحمات على ماضينا التالد ، ونتحسر على سيادتنا في التاريخ ، نذكر ايامنا التي عبثت بهذا المجد وايدينا التي اهملت ، واثرنا الذي زال عنا دون وعي او اكتراث الا ان يكون لنا من دون مصحفنا ما نفخر به ونعتز بغيره ، لكن ليس فيه ما في دم عثمان الشهيد على مصحفه العتيد .

القاهرة — ابو طالب زيان

مؤتمر طرابلس وثورة صيدون

بقلم عيسى ميخائيل سابا

* * *

على براق الفكر ، عد القهقري الى العصور الفوابر ، وسر بعين الزمن المنصرم وماش سيف البحر المتوسط جنوبا ، فتظفر بصيدون مدينة فينيقيا ، وهنالك حط المسير ، والق عصا الترحال ، « لا السير في الاطمويبل » واشهد العظمة والتضحية ، وانشد الحرية الملطخة بدماء الابرياء ، وقل سلام على الارواح الطاهرة السابحة في سماء لبنان الجميل ، جبل الاسود والنمور .

ولا تنس ان تقول : بئس الخونة وبئس الظالمون ، وبئس المطامع وبئس المستنزفون دماء الجهلة الابرياء ، وقبل ان تاوي الى فراشك ردد :القوة ،القوة ولا تخش .

والقوة كانت منذ البدء ولما تزل قسطاس العدل ، ولا عدل مع الضعف ، والويل ثم الويل لمن فقد القوة ، وفقد الزعامة والجاه وقديما قيل « السمك الكبير ياكل السمك الصغير » ورحم الله الشاعر الفرنسي «لافنتان» القائل : « الحق للاقوى وهو المفضل دائما » .

واذا ما تدبرت هذا القول ، ازدر العظمة الكاذبة المعفرة الجبين تحت اقدام الفاتح القوي واعلم انها عظمة كاذبة تزول زوال سحابة صيف ، وخير منها ثم خير منها النار تذهب بالاخضر واليابس ، بالطفل الرضيع والفتى اليافع والعيناء المشوقة القوام والشيخ الهم والفرشب .

ولا تنس ان الحرية التي يمنحها المتسلط الغريب العاتي هي قيد في اعناق العبيد الاذلاء ، الذين يفرحون بسلاسل الذهب تلمع على الصدور .

هنالك ماش العصور واهبط مدينة فينيقيا القديمة « صيدا » وقد ظهرت فيها آثار تملي عليك من خبر الايام ما كنت تجهل وكان طي الكتمان ، وما زالت الارض تحفل باخبار الاقدمين ولا يظهرها الا الزمن والمنقبون .

وعد بي الى مؤتمر طرابلس الفينيقي وانتظر ما تبعث به « المدن الثلاث » طرابلس وقد انعقد فيها مؤتمر فينيقيا السنوي ، وان انت عدت القهقرى الى الوراء الى العصور الفوابر وتصفحت الوجوه فما تقرا على تقاسيمها غير بغض الفرس واحتقار عمالهم .

صيدا او صيدون تغلي وترعد وتزبد واجدة على ظلم الفرس المستبدين وقد طفح الكيل ، تنتظر اشارة الاعيان المجتمعين في المدن الثلاث « طرابلس » واذا الخبر يحمله جماعة من الفرسان برا وآخرون بحرا . وما هو هذا الخبر ؟

الخبر عظيم ، ترتعد منه الفرائص ، والوطن عزيز والاهل كرام وان جاروا، والبيت حبيب كريم وقديما قيل فيه « يا بيتي يا بيوتاتي يا مستر عيوباتي فيك أنام وفيك اقوم وفيك امد جرياتي » .

جاء الخبر وما هو ؟ الثورة ، الثورة ، الويل للظالم ، الويل للفرس . انتشر الخبر ، خبر العصيان ، وتخطى صيدون الىماجاورها ، واذا فينيقيا باسرها جنودمجنده تدافع عن حريتها وتطلب استقلالها ،والتصرف بمقدراتها. غضب في البر وغضب في البحر ، في السهل والجبل .

تهيا كل شيء واندلعت نيران الثورة ، فذهبت بحياة مرازبه الفرس وعمالهم ، عفت على الروض الملكي ، وتداعى قصر ممثل الفرس « احشويرش » الثالث قاتل اقاربه منالعائلة المالكة،ليبسم له الزمن ويستقل بالتاج منفردا!

اتصل الخبر بحامية الفرس المرابطة في سوريا وقيليقيا ، فجاءت لتخضع فينيقيا اللبنانية الثائرة فماذا رات ؟ رات نارا وحديدا فصفعت على قفاها صفعه انبثقت من صداها شجرة الحرية ، ورفعت راية الاستقلال المزركشة بدم الصبايا والشبان . ولكن الى حين .

احشويرش الثالث ملك الفرس في قصره ينعم بين حظياته يشرب الخمرة المعتقة من مسطار فينيقيا التي تدر لبنا وعسلا ورحيقا لذة للشاربين والآكلين ، واذا البريد يصل بما قطب جبينه وازال سروره ، وأمر بالجيوش فقرعت الطبول وصفت العساكر ، وسار يطلب صيدون الثائرة العاصية .

جاء صيدون ، والخنادق حول سورها فضرب الحصار وخاف « تينيت » ملكها المعفر الجين تحت اقدام ممثلي الفرس ، فارسل الاعوان يطلب الصلح ويقدم خضوعه ذلة ، والابقاء على حياته وحياة ذويه . فقتل الفرس الاعوان ، وقبضوا على « تينيت » وشهروه . وما ابقوا على حياته . واصبح خبرا في بطون الآثار والكتب .

واتصل الخبر بالجند وعرفوا خيانة ملكهم فجمعوا جموعهم واضرموا النار في المدينة وفي المراكب المرابطة .

وهنالك وسط اللهيب شوهدت « عشتوريم » بسمة الصبح ونجمة القمر الفينانة ، محلولة الشعر تبعث الصيحة تلو الصيحة داعية الى النار ، فاحترقت المدينة بمن فيها في السنة ٣٥١ ق م ودخلها احشويرش الثالث قاعا صفصفا ، ونعم الفرس ظاهريا بارض فينيقيا بلاد الخمر والخمير والارز والصباغ الارجواني مدةثماني عشرة سنة بقلق واضطراب وسلمت تاجها صاغرة بعد ذلك الى الفاتح المكدوني ، اسكندر الكبير ، وارواح البررة من ابناء صيدا « صيدون » توحي في مطلع الفجر ، وفي انحجاب النور قول « عشتوريم » الجميلة « النار النار ولا الذل والعار» الى ابناء صور ليصمدوا في وجه المكدوني الجبار، فكبدته اتعابا وخسائر رددتها الاجيال ولما تزل تقول :

هذه اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار

عيسى ميخائيل سابا

صراع بين الجسد والروح

من ديوان شاطىء العمر يصـــدر قريبا

الى اخي الحبيب رمزي خليل اهدي هذه القصيدة فقد شهد مولدها منذ خمسة عشر عاما

الجســـــــد

دعيني لآلامي . وســـود خواطـــري   ورعشة احـــلامي ، وخفق مـزاهري
أعيش بوادي الطين بين عشيرتـــي   أؤكد نفســـي في ظـــلام المقـــاور
وما انا بالنشـــوان في عالم الرؤى   يفتش ، في الاوهـــام عن طيف عابر
ولســـت بقديس ... ولست بكاهـن   يردد ترتيلي دخـــان المجامـــــر
ونست بروحي القصيـــد .. ولا أرى   تهاويل اشباح تسربـل نـــاظـــري
ومـــا أنا بالساري على (رفرف)الدجى   لاسمع همس الصمت بين البيـــادر
واذبح (فجر النور) في (هيكل السنا)   وابقى كسير النفـــس بين الدياجـــر
فهذا ضلال في الحيـــاة وجنـــة   ونوثة مخبول ... وأوهام شـــاعر

سئمتك روحي ... لن اتابـع رحلتي   الى العالم العلـــوي ... لست بقادر
دعيني.. دعيني .. لست اول راهب   يضل ... دعيني... لست آخر كافر
دعيني ... أعب الكاس صفوا مذاقها   وامشي بدنيا الناس صلد المشاعر
أعربد كالمجنـــون . من غير حرمـــة   لقدس من الاقداس ... او طهر طاهر
أدوس قلوب الغانيـــات مقهقهـــــا   واسخر من طيـــف العفاف المخامر
ارى النبل عجزا ، والتورع نكســـة   تعوق مسير الركب نحـــو المخاضر
واترك فكري خلف كل عقيــــــدة   يغوص كمـــا يهوى بدون أواصـــر
طليقا علي رغم الجهود وأهلـــــه   لادحض للاجيـــال ... كل المساخـــر
سئمتك روحي لن أتـــابع رحلـــتي   الى العالم العلوي ... لست بقادر
دعيني ... دعيني . لست اول راهب   يضل ... دعيني... لست آخر كافر

الـــروح

تعال لالهامي . ونور منـــابعـــي   لتغسل أوضار الاسي من هـــوادري
تعال ... ولا تخلد الى الطين. نرتقي   الى العالم العلوي .. قدس المصادر
ففيك من الاسرار كـــل محجـــب   وقلبـــك خفاق بشـــتى المشاعـــر
وفيك على (رغم التمرد) نفحـــــة   تعاف نداء الطين ... لحن العواهـــر
وفيك من الرؤيـــا ظلال مشعـــــة   تضيء حنايـــا النفس...طي السرائر
خلقت لدنيا الروح والحق والهـــوى   ففرد طليقا بـــين هـــذي الازاهر
وصل طويلا بالدمـــوع فانهـــــا   عزاء جـــدود التاعسين العواثر
وفتش عن السر الكمـــين فربمـــا   تراه جليـــا خلف هـــذي المظاهـــر
بحـــار.. وامطـــار.. وسحب تسوقها   ريـــاح .. مزجاة بقدرة قـــادر
نخيـــل واشجار .. وعشب مخضل   حدائق نشـــوى بالـــورود النواضر
طيور علي الافنان تشدو طليقـــــة   وصمت علي هـــام الطلول الخـــوادر
خريف علي الاعراس يـــاتي مصوحا   يجففه كل اليانعـــات الـــزواهـــر
وينشر ريح المـــوت والحزن والبلى   ويمشي بعرس الكـــون صوب المقابر

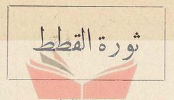
ويأتي ربيـــع بعد هـــذا مشعشعـــا   يعود الـــي الاكوان ... عـــودة نـــاشر
يعيد اليها روحها ... وسناءهـــــا   فتصحو على لحن من البعـــث غامر
ففتش عن السر الكمـين فـــــانـــه   آله قديـــر خلف هـــذي المظاهـــر
خلقت لدنيـــا الروح والحق والهوى   ففرد طليقـــا بين هـــذي الازاهـــر

القاهرة   **عبد العزيز الدسوقي**

كانت السيارة الكبيرة – ولنسمها حافلة – مكتظة بالمسافرين من مختلف الالوان والاحوال والاعمار .. وقد انطلقت تسبح على سطح الطريق المزفت بقوة ونشاط ، كأنها الزورق الحربي ، يصدع صدر الموج رافع المقدمة كالطائر بعضه في الماء ، وبعضه في الهواء .

والطريق بين دمشق واللاذقية بطبيعته طويل ممل ، ولكن المسافرين ذوي الاعصاب الحساسة اشد الناس شعورا بطوله واملاله ، عندما يضطرون الى امتطاء هذه الحوافل. وذلك لتضارب امزجة الركاب وما يتأتى عنه من فوضى مزعجة ... فهناك من يطيب له الغناء فينطلق على هواه ، يصب الحانه كيفما اتفق في اسماع الباقين ، دون ان يفكر برضاهم او غضبهم .. وهناك المشغولون ببطونهم ، يتخذون من هذه الرحلات الطويلة فرصة للتزويد بانواع الاطعمة ، فما هي الا ان يستقر بهم المقام في جوف الحافلة حتى يتفرغوا للقضم والخضم ، لا يبالون بما يحملون اناف الاخرين ولا ثيابهم وليسوا قليلين اولئك الذين تغلب الصفراء على امزجتهم ، فما يكادون يحسون حركة السيارة حتى تنقلب امعاءهم لتقذف بما تحتويه من قديم الطعام وحديثه ! .. واثناء ذلك ينطلق ضجيج المذياع الذي لا يعرف الراحة ، ليشغل كلا من هؤلاء عن نفسه وما حوله .. اشبه بطبول وثنيي الهند القدامى ، عندما يحتفلون باحراق امراة تريد اللحاق بزوجها ، فيشحنون الفضاء بدوي متواصل ... يكفي لابعاد صوت الضحية واستغاثاتها عن اسماع الجمهور المحتشد .

ولعل الصيدلي (أ ..) كان اشد ركاب هذه الحافلة ضيقا وسأما ، وهو معذور في ذلك ، اذ كان بسبب وضعه الصحي احوج الجميع الى الهدوء .. فقدر له ان لا يجد اليه سبيلا . وقد زاد طينته بلة هذا الجار الارمني الذي القاه سوء الحظ بجانبه فجعل رحلته كالعبء الضخم قضي عليه ان يرزح تحته سبع ساعات متتاليات ! .. فهو اولا نصف سكران، قد نسجت انفاسه من حوله غطاء كثيفا من الروائح الفاسدة لا يستطيع منها فرارا .. واتم فضله بذلك القط الذي جثم في حجره فما يكاد ينقطع عن المواء .. ولو شاء ان ينقطع لما اتيح له ، لان الخواجا قره بت – وهذا اسم صاحبه – لا يطيب له ان يفقد صوته ، فهو لا يبرح يشد اذنه ، او يقرص ذيله ، او يدغدغ صدره ، لينصرف عن



بقلم محمد المجذوب

الخرير الى الصراخ المثير .. ولا بأس ان يؤدي ذلك الى ازعاج الصيدلي وعشرين مثله . .ما دام قره بت يجد في هذه الالعوبة سلوى تخفف عن نفسه بعض وعثاء الطريق ! ..

وكان مستحيلا على (أ ..) ان يتدخل في حرية القط وصاحبه ، فضبط اعصابه ، وحاول ان يشغل وقته عن هذه المزعجات بالتدخين والقراءة ، حتى قاربت الحافلة مشارف اللاذقية . وهناك التفت الى جاره السعيد يقول له : ان قطك جميل .. وانيس جدا .

واجاب قره بت : تبا تبا . لذلك احبه ، واحمله اينما ذهبت .



وجعل (أ ..) يداعب جلد القط وهو يقول : اليس له اسم ؟

– اسمه اروك ..

– اسم جميل .. والعجيب انه يشبه بعض اسمي .. ان اسمي (امانول باروك) .. ومن اين جئت بهذا القط اللطيف ؟

– من كسب .. الا تعرف كسب ! انه مصيف جميل جدا .

– الداعي غريب جوال لي مكتب تجاري في اللاذقية .

– وتعمد (أ ..) ان يخرج كلامه بطريقة توهم السامع انه واحد من التجار الاعاجم .. ثم تابع : كم يساوي مثل هذا القط عندكم ؟

– لم ادفع ثمنه .. وهو مولود في بيتنا .. وابوه وامه واهله كلهم اندنا من زمان

– وهل في كسب كثير من هذه القطط ؟

– تبأ .. كثير .. وانتم اليس في بلادكم كتت ؟

– قليل .. وهي غالية جدا .. ومقدسة .

– مكدسة ! .. – نعم كثيرون عندنا يعبدونها .. وكثيرون يربونها لحراسة البيوت ، ولمرافقة الاطفال .

– اجيب .. ومن اين تأتون بها ؟

– نشتريها من اليابان باسعار عالية جدا .

وسكت قليلا ثم تابع : هل في وسعك ان تؤمن لي مئة قط بسعر مناسب .. خمس ليرات لكل واحد مثلا ؟

– خمس ليرات ! انت تشتري ؟

– نعم .. هل استطيع الاعتماد عليك ؟

– وبرقت اسارير قره بت ، اذ وجد نفسه فجاة امام غنيمة باردة ..ولم يتمالك ان قال : انا مستئد لذلك ..

ولم يشأ (أ..) ان يفوت الفرصة فاستل محفظته ، واستخرج منها ورقتين بقيمة عشرين ليرة دفع

بهما الى قره بت قائلا : هذا ما لدي من النقود الان ، خذه كسلفة من المبلغ .. وبعد شهر واحد تستطيع الاتصال بمكتبي هاتفيا .. اكتب اذا شئت رقم ٩٤٣ شارع الهافانا .. كنت اود مرافقتك الى كسب لترتيب الامر معك ، ولكني مضطر الى الغياب عن اللاذقية طوال هذه الايام ، فعليك انت بتجميع القطط المطلوبة ضمن اقفاص .. ولا تبخل عليها بالغذاء اللازم ، وسأحاسبك بكل التكاليف ..

ولم يبق ما يحول دون اتمام الصفقة ، فضم قره بت النقود الى جيبه .. ووضع توقيعه على السند الذي كتبه الصيدلي تنظيما للاتفاق وعند مدخل المدينة فارق (أ ..) صاحبه وهو يؤكد عليه بان لايحدث مانع يحول دون تسليم الصفقة في موعدها المقرر .. ثم قال له وهو يهز يده : مسيو قره بت ارجو ان تنسى اسمي .. وقال قره بت مستهيل .. انه امانول ب .. باروك

ـ حسن ... اذا نسيته فسيذكرك به قطك العزيز . ان فيه حروف اسمه نفسها .. وداعا .

وباشر قره بت عمله الجديد منذ وصوله الى كسب .. فصنع اول قفص ، وجعل مكانه على سطح الدرج الحجري ، وبدأ باصطياد قطط الجيران واحدا بعد اخر .. ثم اتبعه بالقفص الثاني ، وبات عليه ان يطلب القطط من الاحياء الاخرى بعد ان استنفد ما حوله ، وهذا يعني ان يستعمل المال للحصول عليها ، وهكذا اضطر الى اداء الثمن ..

لقد افتتح السوق بنصف ليرة للقط الكبير ، وربع للصغير ، فملأ القفص الثاني او كاد .. ولكن السعر ما لبث ان تحسن ، اذ اضطر الوسطاء ان يدفعوا بدورهم ، فلم يعد العمل مربحا الا اذا زاد هو في سوية الاسعار .. وكان متعذرا عليه ان يتوقف عن مواصلة الطريق بعد ان قارب نصفه ، لذلك رضي برفع العمولة حتى استقرت على اربعة اضعاف المستوى الاول ..

على ان المشكلة لم تقف عند حدود المال .. بل اصبحت له مصدر عناء لا يطاق ، واول ما واجهه من هذا العناء المعارك التي اصبحت ضرورة لا مناص منها في تلك الاقفاص . انها لمعارك واقعية رهيبة كثيرا ما تجري فيها الدماء وتزهق الانفس .. وهي لا تعرف ميقاتا معينا ، فقد تقع في الصباح او الظهر او الليل ، فتحرم اهل البيت كلهم ان يتذوقوا طعم النوم وما اكثر ما اقحمته معارك مشابهة مع جيرانه ، كان من حقها ان تجر الكوارث ، لولا تدخل اولاد الحلال ، ولولا صلات القربى التي تربط بين قره بت ومعظم اولئك الجيران ..

ثم كان عليه ان يعنى بتدبير الغذاء اللازم للبقاء على حياة القطط .. الامر الذي لم تخطر اهميته بباله قط قبل مواجهته ، وقد كان ذلك ميسورا في اوائل العمل ، حيث كانت فضلات البيت مع بعض الاسقاط كافية لتوفير حاجة الدفعة الاولى .. غير ان الحاجة ما لبثت ان اخذت فيالزيادة المركبة اطرادا مع زيادة الحيوانات، حتى اصبح منذ القفص الثاني ، ولا عمل له سوى السعي للحصول على الفضلات والاسقاط سواء من عند الجزارين او من صفائح القمامة ! .. وطبيعي ان هذا يكلفه الكثير من المال ، يدفعه اجورا للاحداث الذين وجدوا في هذه المهمة وسيلة جديدة الى دخل ميسور ..

واستهلكت هذه الاعمال جهود قره بت جميعها ، فلم تدع له مجالا لخدمة حقله . ولولا المجهود الذي بذلته زوجته وصغاره في العناية بتلك الاشجار لتعذر عليهم ان يبيعوا صندوقا واحدا من ثمراته .

واستجاب الله دعاء قره بت ، فوافته نهاية الشهر قبل ان يوافيه الاجل .. وفي صباح ذلك اليوم راح يغدق على قططه من الطعام اكثر مما عودها .. لانه اراد ان يسلمها الى صاحبها الجديد مملوءة البطون .. ولم ينس ان يمدها من الماء بما يفيض عن حاجتها ايضا لتكون ارضى لنظره .

ووقف يعدها .. ويعيد عدها ، فلم تزد على سبعين قطا ، بينما هي في دفتره لا تقل عن الخمسة والثمانين . ومع ذلك فقد شكر الله الذي اشفق عليه فحال دون موتها .

واخذ قره بت طريقه الى اول هاتف .. واستخرج من جيبه الداخلي ورقة مطوية بعناية ، ولما استوثق من الرقم ادار منبه الجهاز ، وطلب وصله بمكانه .. وراح ينتظر ..

وطال الانتظار ، فاعاد الطلب ، ثم اعاده واعاده ، وفي كل مرة يتلقى الجواب الواحد : انتظر .. وبعد ساعات من الانتظار ، وعشرات من الطلبات ، وملء منديل من العرق الحار .. وارتفاع محموم في نبضات القلب ، تفضلت موظفة الاتصال فاخبرت قره بت انلا وجود لرقمه في مركز اللاذقية ، وان ليس في البلد مكان اسمه شارع الهافانا واخيرا ان سجلهم لا يعرف انسانا اسمه امانول باروك !

وعاد قره بت الى داره في شبه دوار ، لا يكاد يعرف طريقه لولا هدي العادة . وكان التوتر قد بلغ اشده في اعصابه ، فما هي الا ان صار الى السطح حتى شرع يهوي بالفأس على عوارض الاقفاص واحدا بعد واحد .. حتى اتى على الاربعة جميعا ..

واندفعت اسراب القطط في ثورة جامحة .. ثورة السجين الذي فوجيء بسجنه يتهدم على حين غرة،

ابنتي عائدة

وكانت في الثانية من عمرها

ما انت الا عـــائـدة	بنت الحيــاة الخالده
اشرقت كالفجر بدا	يجلو العيون الهاجده
في حلة الحسن التي	رفلت فيهـا واحده
قنصت الباب الورى	مثل «ديانا» الصائده
سـلاحـك ابتسامة	تغزو القلوب الجامده
نقيـة ، بـريئـة ،	على السماء شاهـده
مـلائك الطهر لهـا	غابطة وحـامـده .
يا لــك من عابثـة	طـائعـة معـانـده
مـدلـة هـازلة	مدنيـة مبـاعـده .
وتسرحين في الحمى	قائمة وقاعـــده
لم تتركي في الدار من	شـــاردة وواردة
الا وقفـت عندهـا	باحـثة كالرائـــده
تستطلعين امـرها :	ما سرها ،ما الفائده ؟
غردت كالطير شـدا	على الغصون المائده
فردد البيت صـدى	تلك اللحون الخالده
بيـت ابيك جنــة	وانت فيها السائده .
كم ليلـة احييتهـا	والعين يقظى ساهده
والقلـب مني واجف	والنفس حيرى واجده
اذ انت قد ذقت الضنى	مـن الحياة الجاحده
ـ هل رأفت بطفلـة	على السرير راقده ؟ ـ
حتى اذا نلـت الشفا	وقمت تـوا راغـده
شاع السرور والرضا	زان الوجوه الكامده .
بـوركت يا بنيتـي	رمز الحياة الصاعده
وليهنـأ الوالد قـد	نال المنى والوالده !

بغداد **مير بصري**

ولم تكن القطط باقل توتـــرا مـن قرهبت ، فما هي الا انوجدت نفسها حرة التصرف حتى تدفقت في كل اتجاه ، لا تدري اين يجب ان تسلك ، ولا اين تقف .. فاذا ببعضها يقتحم الدور ويصطدم باصحابها وبعضهـا يهاجم الحوانيت من نوافـذهـا وابوابها ..

وتدافع الناس يرقبون هـذه الثورة المجنونة في غمرة مـن الدهشة .. وهم يتساءلون عـن السر الذي حفز قره بت على اطلاق سبيلها بهذا الشكل المزعج !

وبلغت ثورة القطط ذروتها حين اقتحم كبيرها احدى الحانـات ، وقفز لتوه الى احد الرفوف ،فانقلبت بحركته بعض قناني الخمور، ومـا ان لامس صوت تحطيمها مسمعه حتى دفعه الرعب الى متابعة القفز من رف الى اخر ! ثم لم يغادر الحانة حتى اوشك ان ياتي على جميـع ما فيهـا !

وكان طبيعيا ان يساق قره بت الى السجن ريثما يحدد القضـاء مسؤوليته عن هذه الثورة .. ولعلها المرة الاولى التي يفارق داره لغياب طويل .. دون ان يصطحب قطـه الجميل !

اللاذقية **محمد المجذوب**



نقولا يوسف

الكاتب محمد أمين حسونة

بقلم نقولا يوسف

كان صديقنا الكاتب ، الصحفي ، المؤرخ ، الناقد ، ـ محمد امين حسونه ـ من فئة الكتاب الذين وقفوا حياتهم على خدمة المجتمع واصلاحه باقلامهم .. فظل يجول ويصول زهاء ثلاثين عاما في الميادين الواسعة المكشوفة التي يحلو فيها الاستشهاد .. ولم يخرج الى الميادين المحدودة التي يتعارك فيها الافراد ويتضاربون ، محتفظا بكرامته ، مترفعا عن الزج بقلمه فيما يعوقه عن تأدية رسالته ، وتحقيق مبادئه ..

وقد نشر الكثير من البحوث والمقالات ، والاقاصيص والروايات ، والتعليقات والنقدات في معظم الصحف والمجلات العربية التي عاصرها .. وخلف من المطبوع اربعة عشر كتابا مؤلفا ، وخمسة مترجمة ـ غير ما ترك من مخطوطات لم تطبع ، ومقالات في الصحف والاذاعة لم تجمع .. وغير ما كان يطويه في صدره من آمال وبرامج اختصرها الموت يوم ٢٨ من اكتوبر عام ١٩٥٦ في حادث الطائرة المشئوم .

وكان « حسونة »من اوفر كتابنا حظا في باب الصداقة والمعرفة الشخصية مع جل الادباء العرب والمستشرقين المخلصين ـ يحبهم ويحبونه، ويكاتبهم ويكاتبونه.. ويحفظ في مكتبه عددا من رسائلهم الخاصة ، ومؤلفاتهم المهداة ،

واستطاع بهذه المعرفة ان يكتب عن آثارهم ويؤرخ لحياتهم في كثير من الصدق والانصاف .. ولطالما كتب في المجلات عن تلك المؤلفات بتوقيع مستعار دون تلفيق للوقائع أو طعن في الكرامات . ثم جمع من ذلك سجلا عن الادباء المحدثين واعمالهم ، لم يشأ طبعه قبل مراجعته وانجازه فلم ينشر .. كما استطاع ان يرشد غير العرب من الكتاب الى آثار ادبائنا ليكتبوا عنها .

ولا يفهم من ذلك انه كان في نقده الادبي يمدح كل من لا يستحق المدح ، ويضع الندى موضع السيف .. وهو القائل في فصل عن « اساليب النقد » بكتابه « ساعات الصمت » المنشور عام ١٩٤٥ ..

« ... وما اراني في حاجة الى ان اقول ان جميع المقاييس (النقدية) عندنا مقلوبة رأسا على عقب ! فكل اديب او متأدب يعرف ان حركة النقد سبقت تطور النهضة الادبية واكتمالها . وبدلا من ان تكون غاية النقد تربية ثقافة الذوق والشعور عند جمهرة القراء ، انقلب النقد الى نوع من الثرثرة والهذيان ! والى مقالات مأجورة لا يقصد بها وجه النقد وحده ، ولا وجه الادب وحده ، وانما يقصد بها الى شيء تمليه الموجدة ، ويوحى به الغرور وسؤ التقدير .. » !

اما الناقد المخلص لفنه ، فهو في رأيه :

« الذي يترفع عن المتاجرة بعيوب الكتاب ، ويربأ عن ان يتخذه وسيلة للنيل من المنقود ، واطفاء شهرته ، واذاعة مساوئه . وعليه ان يتنزه عن الغايات والمطامع وان يكون اقرب الى روح الكاتب منه الى شخصيته . فيكشف امامنا عبقرية هذا الروح مجردا عاريا ، ويطلق عقاله من اي اسار يعوقه ، فلا يشغله سوى غرض الفن والعقيدة ، وتطبيق قواعد النقد . »

وبدا حسونة حياته الادبية باكرا ـ قبل ان يبلغ السابعة عشرة .. فاخذ ينشر فيها بين ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ شكولا من التعليقات الاجتماعية ، والنبذ الادبية ، يهدف بها الى اصلاح بعض مواطن الضعف في المجتمع ، ويوزعها على شتى الصحف الدورية الصغيرة التي كانت تصدر بمصر في ذلك الحين . فهو في عام ١٩٢٥ يكتب بجريدة «القلم» عن المعارض ، وعن تطهير العاصمة من الفساد .. وفي مجلة « التياترو » عن كتاب المسرح الفرنسي .. وفي « الحاوي »و « العروسة » و «الف صنف» والمدفع وغيرها ـ ملاحظات وتعليقات ،واختص جريدة« الوقت » التي كانت تصدر يومذاك في بلدته « ميتغمر » بالكثير من كلماته ، ومن ذلك : اختيار الزوجة و « اخلاق الشباب» وحديث مع الشيخ محمود ابو العيون وغيره ..

كما كتب في صحف :النيل ، وكوكب الشرق ، والبلاغ والمقطم ، والفنان ، والمصور .. ثم اخذ بعد ذلك ينشر مقالاته في السياسة الاسبوعية ، ويحرر ابواب النقد

الادبي في « ابي الهول » والصباح ، وروزا اليوسف اليومية .. وفي الهلال والمقتطف والجامعة ..

ونشر في مجلة « دنيا الفن » فصولا عن المسرح وكتابه .

وكان آخر مطافه محررا في مجلة التحرير ، وبجريدة الجمهورية عند تأسيسها — كما كان مديرا لقسم الصحافة والنشر بالقوات المسلحة بالقاهرة — وهو آخر مناصبه ..

ومن هذه النقدات والمقالات ، والاقاصيص والتعليقات — المبعثرة في نحو عشرين جريدة ومجلة — مما يحمل توقيعه الحقيقي او توقيعاته المستعارة — فيما بين عامي ١٩٢٥ — ١٩٥٦ ، وكذلك اذاعاته العربية والفرنسية ، ومحاضراته العامة في الاندية — لم يجمع غير القليل الذي ضمنه مؤلفاته النقدية .

* * *

وفي عام ١٩٣٠ نشرت لمحمد امين حسونة قصةطويلة في ثلثمائة صفحة باسم « مصر الحرة واشبال الثورة » — وكان في الثانية والعشرين من العمر ، شهد في حياته ثورة ١٩١٩ وما تلاها من احداث سياسية واضطرابات اجتماعية ، وراح يصور انعكاساتها في هذه القصة ، ويضيف اليها من نفسه الشابة الثائرة آراءه في الاصلاح والتحرر ..وتدور وقائع القصة حول حب نشأ بين شاب مصري مرتبط بالتقاليد القومية ، وبين فتاة اوروبية شبت على تقاليد متحررة ، وشاءت ان تمارس حريتها التي الفتها ، في وسطها الجديد .. فكانت صورة الصراع بين التقاليد ، وقصة صراع البلاد لسيطرة الغرب واطماعه الاستعمارية .. وكان ان وضع المؤلف لروايته هذه شعار : « دولة الظلم ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة » .. وقدم لقصته : صديقه الكاتب محمد زكي عبد القادر ..

وما لبث ان اتبعها عام ١٩٣٣ بمجموعة من اقاصيصه ، وضع لها عنوان : « الورد الابيض » وقدمها محمود تيمور وكانت المحاولة الباكرة الثانية للكاتب في ميدان القصة . وقد نشر معظم اقاصيص هذه المجموعة قبلذلك التاريخ في بعض المجلات .. ولهذا جاءت مرآة تعكس المجتمع في تلك السنوات يوم كان يتخبط في اوحال الاحتلال والاقطاع والاستغلال ، وكان الكاتب يعيش هنا في متاهة عاطفية وفوضى اجتماعية ..

ولم يتطرف حسونه في هذين المؤلفين القصصيين في الرومانسية الشاكية الباكية ، كما كان يفعل الكثيرون حوله، بل كان يلجأ كثيرا الى الواقعية ، كما عرض عددا من اللوحات البارعة لمناظر بلاده — فتجد في اقصوصة « الواحة » صورا مصرية لاسوان والاقصر والاثار القديمة والصحراء .. وفي قصة « المرآة الجديدة » لوحة لطيفة من لبنان .. وفي « الغروب » صورة من الريف المصري .. وهنا وهناك مناظر لشتى صور الجمال الطبيعي في مصر .. ثم هناك الصور الاجتماعية لحياة الفنادق والمراقص والقهوات — الحياة المترفة الفارغة التي كان يحياها بعض طبقات الشعب آنذاك .. وفي المقدمة التي كتبها محمود تيمور لمجموعة « الورد الابيض » يقول :

« ... والانسان يشعر لاول وهلة بعد انتهائه من مطالعة هذا السفر الطريف ، انه امام صورة من تلك النزعات التي تجيش في قلوب ادباء التجديد ممن تأثروا بالادب الغربي ومذاهبه المتعددة ، والذين ينزعون دائما الى التخلص من العيش في كنف الادب العربي القديم ، ويطمحون الى اقرار ادب مصري له طابعه ومميزاته الخاصة — ادب يوافق روح العصر ، ومزاجنا القومي . »

ثم يصف تيمور اسلوب الكاتب ، « .. ولا ننسى اخيرا ان للاستاذ حسونه سهولته الغريبة في كتابة القصة ، فلا تحس وانت تقراه باي تعمل او اجهاد ، بل تشعر بحبه لفنه ، من تلك العاطفة الصادقة التي تغمر اقاصيصه . واسلوبه السهل بعباراته السلسة وكلماته المنتقاة تعطينا خير مثال لتطور الاسلوب في العصر الحديث .. »

وكان عمل حسونه القصصي الثالث ، قصة « راوية » — التي ظهرت عام ١٩٥٦ — وكتبها قبل عام ١٩٤٨ ، ثم قدمها لمسابقة القصة الطويلة التي اقامتها وزارة التعليم ففازت بجائزة .. وتعد هذه الرواية عملا فنيا ناضجا .. وهي قطعة حية من صميم الريف المصري ، تصف بعض عاداته الساذجة وتقاليده السالفة .. وابطالها فلاحون وفلاحات فقراء من ضحايا الجهل والاستغلال حين كانت ترعى الخرافات ، ويعيث الدجالون والمشعوذون فسادا .

واسلوب هذه القصة سلس خال من كل زخرفة او تعقيد ، ولغتها لا يشوبها عنف ، او انفعال بل هو الهدوء دائما والبساطة .. وما دام الاسلوب هو الانسان ، فكل ما كتب صديقنا حسونه ينم عن طبعه الهادىء الوديع الطيب .

ولم تكن القصة ، الميدان الوحيد لقلم حسونه ، فهو كاتب منوع الانتاج كما سلف .. ونراه في ادب الرحلات يصدر عام ١٩٣٦ كتابا باسم « وراء البحار » اودعه مشاهداته في رحلة قام بها عام ١٩٣٥ في ربوع النمسا والمجر ورومانيا وتركيا واليونان .. وجمع فيه بين الذاتية والموضوعية ، وبين مزاج الاديب الفنان ،والباحث المدقق في تطورات الحضارة ، الراغب في نقل ما ينفع بلاده ، من ثمراتها ..

وسافر ثانية عام ١٩٣٦ الى سورية ولبنان ، واتصل هناك بالادباء والصحفيين ، ونشر في صحفها الاحاديث ، وقام برحلته الاخيرة الى سورية عام ١٩٥٦ وكان يسجل الكثير من مشاهداته ومقابلاته في مقالاته ونقداته .

وله في باب الدراسات النقدية ثلاثة كتب عن ثلاثة

من كبار الادباء الغربيين ، جمعت بين الدقة والايجاز ــ اولها كتاب عن « بيراندللو » ــ الكاتب الايطالي ــ نشر عام ١٩٤٩ ، وثانيها كتاب عن شاعر الثورة المجرية « بيتوفي » ظهر عام ١٩٥٥ ، وثالثها عن الشاعر الفرنسي « بودلير » ، وديوانه « ازهار الشر » وقد طبع عام ١٩٥٧ ــ وفي الكتابين الاخيرين مختارات كثيرة مترجمة عن الشاعرين .. وكان اختياره للتعريف بشاعر المجر موفقا، لانه الشاعر الحر الذي انضم الى احرارها ، وحارب من اجل تحريرها واستشهد في ساحة القتال وضاع بها قبره .

ويدخل في هذا الباب النقدي ، كتابه « الباب الذهبي» ــ ١٩٤٤ ــ الذي ضمنه بعض ملخصات القصص العالمي ــ ومنها روايتا « الينبوع » لشارلس مورجان و « الدكتور ابراهيم » لجون نيتل ..

وتوالت مقالاته الادبية في السياسة الاسبوعية ، والهلال ، والمقتطف والجامعة ، والرسالة والحديث بحلب والهدف .. ونقده للكتب وعرضه للحركة الادبية بمجلات الصباح ، وابو الهول ، وللحركة الفنية في « دنيا الفن » ولما اختير محررا بمجلة التحرير ثم بجريدة الجمهورية ، نشر مقالات عن نظام اسرة محمد علي ومخازي الحكم البائد .. كما نشر بمجلة المصور في عيد ٢٣ يوليه١٩٥٦ « وثائق الخائن محمد سلطان والخديوي توفيق » ..

وكان قد جمع من ابحاثه النقدية خمسا وعشرين مقالة احتواها كتابه « ساعات الصمت » المنشور عام ١٩٤٥ ، تحدث فيه عن اساليب النقد ، ومستقبلنا الثقافي ، والرمزية ، والفن للفن ، والادب الماجن ، واحرار الفكر ، ثم دراسات عن محمود تيمور ، وجيوفاني بابيني ، ودانونزيو ، وبوبين ..

والى جانب نشاطه القلمي ، كانت له جولات ادبية واجتماعية في الاذاعة المحلية وفي برنامجها الثاني .. كما اذاع بالبرنامج الاوروبي اذاعات فرنسية عن ثورة مصر وامجادها ..

وكذلك ترجم اربع روايات مطولة طبعت في فترات متباعدة وهي « هنري الرابع » لبيراندللو (١٩٣٧) و « الاستاذ كلينوف » لكيرين برامسون (١٩٤٣) و « الحب والموت » لبيراندللو ١٩٤٧ ثم رواية « الينبوع » لشارلس مورجان ١٩٥٥ ــ وكان قد ترجم الرواية الاخيرة قبل طبعها بعدة سنوات ، وكتب لها مقدمة ضافية عن المؤلف وفنه .

اما ما ترجم عن اللغات الاوربية من مختارات الشعر والنثر ، مما تضمنه بعض مؤلفاته ، فشيء كثير ، ومن ذلك اشعار بودلير وبيتوفي السالفة الذكر .

* * *

ويبدو ان مطالعته للتاريخ والكتابة فيه ، كانا اكثر ما يلائم ميوله . ففي فجر شبابه كان يدرس الجبرتي والتاريخ القومي والعالمي .. ولما كان موظفا بمصلحة السكة الحديدية بالقاهرة وضع كتابا « مصر والطرق الحديدية » ــ وهو كتاب تاريخي طبع عام ١٩٣٨ ــ ولكن اهم كتبه جميعا كان مؤلفه عن « كفاح الشعب من عمر مكرم الى جمال عبد الناصر » ــ الذي ظهر جزؤه الاول عام ١٩٥٥ بعنوان « الوعي القومي » ، والثاني عن « الوعي الثوري » (١٩٥٥) . وكان يعد للطبع جزاين اخرين عن « الوعي السياسي » و « الوعي الشعبي » ، ولم يمهله القدر لاخراجهما .. ولو كملت هذه الاجزاء جميعا لكان لنا منها تاريخ قومي عظيم القيمة ..

فقد كان من راي المؤلف ان تاريخ مصر الرسمي لا يمثل الشعب على حقيقته ولا يسجل كفاحه وجهاده وجنوده المجهولين الذين صنعوا التاريخ ، بقدر ما كان يسجل حياة الملوك والفاتحين .. وكان اخر مقالة له ظهرت بعده (بمجلة الهدف ــ نوفمبر ١٩٥٦) يقول : ــ

« ما هي عناصر التاريخ القومي الذي يدرس للناشئة في مدارسنا ومعاهدنا العلمية ؟ انه مجموعة من تواريخ الغزاة والفاتحين ، الذين سطوا على ارضنا واذلوا اجدادنا . اما تاريخ ما سجله اجدادنا على صفحات الحياة، فلا يزال مطمورا في اغوار الماضي ، مطموسا في المجاهل السحيقة لم تنفض عنه غبار الاجيال ، فقد كان من هم الحاكم ان يطوى الحقائق ، ويزيف الوقائع ، ويحمل المؤرخ على تجاهل الشعب ، صانع التاريخ ، ويبتدع الخوارق ، الشعب الذي هو محور الامور وروح المسائل ، لم يصور المؤرخون حياته وكفاحه وجهاده ، واناته من الظلم ، وانتفاضاته في وجوه الغاصبين ، وانما سودوا اسفارهم بامجاد زائفة نسبت الى الحكام الاغراب ، وهي في مجموعتها تلفيق في تشويه .. »

وسجل حسونه ايضا ، تاريخ الثورة المصرية في ٢٣ يوليه ١٩٥٢ في كتابه « ٢٣ يوليه ــ ثورة التحرير » ... كما سجل جلائل اعمالها في كتابيه : « جمهورية مصر في عامها الاول » المطبوع عام ١٩٥٤ وكتاب « جمهورية مصر في عامها الثاني » عام ١٩٥٥ وقد ترجما الى بعض اللغات الاجنبية ..

***

وقد ولد محمد امين حسونه بمدينة « ميت غمر » ــ بمحافظة الدقهلية في نوفمبر ١٩٠٨ واستشهد ــ كما سلف ــ في ٢٨ من اكتوبر ١٩٥٦ ..

وكان اكبر اخوته من والده ــ المرحوم امين حسونه التاجر بميت غمر ــ وبدأ تعليمه بمدرسة ميت غمر الابتدائية ، وبمدرسة الزقازيق الثانوية . ثم التحق بمدرسة المحاسبة والتجارة المتوسطة بالقاهرة في اكتوبر ١٩٢٦ ..

وانشاء وهو طالب بالزقازيق ، جمعية للتمثيل سماها « جمعية هواة التمثيل » ـ الف لها بعض الكوميديات الصغيرة ومنها « شاهدها تطلع نعلين » و « خازوق مفرى » !.. كما انشأ بمدرسة التجارة بالقاهرة فرقة اخرى للتمثيل والموسيقى (نشرت صورتها بمجلة الصباح في عددها ٣٠ مايو ١٩٢٦)

وعندما سمع بوفاة سعد زغلول طبع نشرة بتوقيع « لجنة الطلبة بميت غمر ـ عنهم : محمد امين حسونه » دعا فيها الى اشتراك جميع اهل المدينة في حفل يقام في ساحة مولد النبي بميت غمر ظهر يوم الجمعة ٢٦ اغسطس ١٩٢٧ ـ وكان الطالب حسونة بين خطباء ذلك الحفل ..

وكان قد اتخذ من القاهرة مقره الدائم في العمل والسكن بقية حياته . لا يفارقه الا في رحلاته داخل البلاد وخارجها ، متابعا قراءاته وكتاباته ، مجتهدا في تعلم اللغات الاجنبية ، على صلة دائمة باهل القلم من كتاب وصحفيين .. واذكر في باب هذه الصلات الادبية الواسعة النطاق ان المستشرق المجري دكتور عبد الكريم جرمانوس كان يستشير حسونه في شئون الكتاب العربي الحديث . وان الكاتب السويسري جون نيتل كان يستوضحه بعض العادات المصرية في خلال تأليفه لرواية « الدكتور ابراهيم » ـ بناحية عين شمس .. وان بيته الصغير بمصر الجديدة كان يعرفه الادباء القادمون من السودان وسوريا ولبنان ، وسائر الاقطار العربية ... وانه كان يقع عليه اختيار القيادة العامة لمرافقة البعثات العسكرية التي زارت مصر بعد الثورة كبعثات اندونيسيا والهند ويوغسلافيا والاردن وسوريا ...

فاذا كنت قد جلست مرة في شقته الصغيرة العلوية التي لم يبدلها مدى ثلاثين عاما ـ بشارع كفر الزيات بمصر الجديدة ، ـ وحيث عاش مع زوجته وتوامتيه الطفلتين ونجله الضابط البحري اليوم ، وفي تلك القاعة الهادئة ذات الجدران المكسوة بآلاف الكتب وصور الادباء، وقد استلقى شاردا على « فوتيل » في هدوء عجيب والفليون بين شفتيه ، وبين لحظة واخرى يوافقك على راي او يضحك لنكتة ، فلا شك انك ستعجب كيف تأتي لهذا الشاب الساكن الوديع ، ان يصدر عشرين كتابا بين مؤلف ومترجم ، ويعد للطبع خمسة .. وان ينشر في عشرين جريدة ومجلة تلك المئات من الاحاديث والابحاث والاقاصيص والشذرات . وان يطوف بكل تلك الاقطار والبلدان ويتردد على عشرات الاندية والصالونات ، والقهاوي والاجتماعات ، ويشهد ما لا يحصى من روايات السينما والمسرحيات .. رجل عاش حياته بالعرض لا بالطول .. وودعنا في هدوء ايضا ولما يبلغ الثامنة والاربعين .. فهو يقول :

« عقيدة احرار الفكر ، هي التضحية الصامتة ، والانطلاق من قيود التعصب الاعمى ، وتحطيم الاغلال ، التي عاقت مصر عن الاخذ باسباب التقدم . وهم من اجل ذلك يشقون ويكابدون ، ويتحدون قوى الجهل، وجيوش الضلال ، ليشقوا لامتهم طريق النور ، ويقودوا ابناءها الى حياة اقدس واطهر من حياتهم . ولكن هؤلاء الاحرار القلائل يعيشون غرباء في اوطانهم . اذ ليس في محيطهم من يقيم لغة ارواحهم ، ولا من يقدر مواهبهم وكفاياتهم. »

بقى ان نعلم ان لمحمد امين حسونه مخطوطات لم تنشر ومنها : الجزء الثالث من كتابه « كفاح الشعب من عمر مكرم الى جمال عبد الناصر » ، ومجموعة اقاصيص بعنوان « سلطانة » .. ورسالة عن الكواكبي نشر منها مقالة بمجلة التحرير .. وكتاب عن الادباء المعاصرين ومؤلفاتهم .. ورواية باسم « رجل المعجزات » .. ومقالاته وابحاثه واذاعاته المبعثرة ولم تجمع بعد .. ثم رسائله الخاصة التي تبادلها مع ادباء الشرق والغرب .

لقد انصفه مجلس بلدته « ميت غمر » يوم اطلق في سبتمبر ١٩٦١ اسمه على شارع صالح بميت غمر وسمي « شارع الشهيد محمد امين حسونه » وهو الشارع الذي ولد فيه ، وفيه بيت العائلة القديم ـ كما اطلق اسمه على المدرسة الابتدائية المشتركة بميت غمر ..

واليوم ايضا تقرر اطلاق اسمه على شارع مستجد في الحي الخامس بمصر الجديدة .. وبقى شيء واحد في اعناقنا لهذا الصديق الاديب الشهيد ، هو ان نجمع آثاره المخطوطة ونعنى بنشرها ..

الاسكندرية **نقولا يوسف**

اعتراف

فـؤاد الخشن
خلده ـ لبنـان

●

أريد يا حبيبتي الصغيرة
ار يد ان اعترفـا
بانني متيم
بروعة العينين ...
بالشفـاه
بحسنك الالهـي
بأنني احب في عينيك ان اجذفا
احب ان اضيعا
في روعة البحار
ابحث عن جزيرة
مرصودة على يدي بحار
مغامر يهيم بالضياع
مستهتر برهبة الاعماق والدوار !

اشاء ان يقلني شراعي
لشاطىء زمردي
يحضنني ..
يسكرني بومضه المفرد
تفتح لي اصدافه الهائلة الغنية
علبهـــا ...
تمنحني دررها النقية !
اريد من عينيك : بالاهداب ان اغترفا
لآلئا كثيـــرة
لآلئـــا نادرة صغيرة !

اود ان نتيه في الكروم
في ليلة رفافة النجوم
اداعب الانامل الشمعية الندية
انتشق العبير ، في غيبوبتي ، من عنق
منضر بالزنبق
والخال ، قرب الثغر ، يا اميرتي
اريـد ان امحوه
بالقبل اللاهبة المثيرة !
اريد فوق أن أناما
اوشوش البرعمة المكممة
اثير في كمامها جهنمه
اتركه في قلق ..
في لهفة متمتمة !

فالليل يا فاتنتي ......

ملاعب للحب .. كم احبها
خلف الخيام ، الملك الضليل
تؤنسه النجوم بارتعاشها
يشدو له النخيل !

وكم احب الليل ، في صمت العراء ،
عمر
العاشق المؤمن
وقربه صبية كثيرة الدلال
توسدت مخدة الرمال
والاهل نام عنهما والقمر !

كم كنت يا حبيبتي رائعة
فـي ذلك الصباح
هناك في شرفتنا المفتوحة الذراع



للريـاح
اذ عبثت اكفها بضيــق
قد خبأ الكنوز والطيوبا
ونفرت من شعرك الطويل
غديرة ترف في الجبين
تلثم العينين بالحنين
فانطلقت صرختك المنغمه
تذر غنجا مسكرا
تنث في غنتها انوثه
لتلعن الرياح في شرفتنا
رياحنا الخبيثة
لانها تجرأت ولعبت
بثوبك الشفيف
بشعرك المهدل الجميل
العمر يا حبيبتي هنيهة جميلة
يا حلوة العينيين يا اميرة !
وبعدها سنعبر الحياه
للضفة المظلمة الكئيبة
لعالم اشباحه غريبة
فلنغتنم فرصنا السانحة القليلة
ولنرتشف من خمرة العيون والشفاه

فاذ يقول الساهرون بعدنا
في ليلة عاصفة في الريف
انغامها تساقط الثلوج .. والمطر
ورقصة النيران في « الكانون » ...
والسمر
لله كم احبها شاعرها المفتون
كم احب زنبقي عنقها
وروعة العينين والانامل الطرية
وكم احب في حروفها الدافئة الضياء
واللهيبا
ولهفة مفوفا غريبا ؟

واذ يردد العشاق شعرنا
في موسم العبير والزهر
هناك في حقولنا ..
في غابنا الظليل
نبعث والربيع من جديد
نعود للحياة في نشيد !

من رسالة الى ولدي

هذه سطور قبستها من رسالة مطولة كتبتها الى ابني البكر قبيل ان يرى النور

بقلم عبد الغني العطري

... الامانة ، والخير ، والضمير ، والوفاء ، والحق : كلها صفات نحبها ونتوق اليها ، ونثني على من يتحلى بها .. ولكن عالمك الجديد – يا حبيبي الذي لم تكتمل عيني برؤيته بعد – تنكر لهذه الصفات وانكرها ، واخذ باضدادها فاستبدل الامانة بالخيانة ، والخير بالشر ، والضمير بتبلد الحس ، والوفاء بالغدر ، وحب الحق بعبادة الباطل ، حتى بات الاخذون بالشق الحسن من هذه الصفات ، ضائعين مضيعين في تيار الكذب والنفاق والخيانة ، والغدر ، والباطل ، ولكن ما عليك يا ولدي . لا تيأس ولا تقنط ، مهما رايت في غدك من شرور وآثام ، ومهما صادفت من تنكر للخير والحق والجمال ، ولسائر الصفات الكريمة . مهما رأيت من ذيوع تلك الصفات .

لا تيأس ولا تقنط ، بل افعل الخير ، وقل الصدق ، وادع الى الحق ، وتحل بالامانة ولو بقيت وحدك . واذا وجدت واحدا في غدك يقدر امانتك وصدقك ودعوتك الى الخير والحق والجمال ، فثق انك واياه ستنتصران في النهاية ، وستجدان التأييد والنصر والاحترام والتقدير ، حتى من خصومكما .. حتى من انصار الكذب والشر والخيانة والنفاق . فالخلق الحسن ، والصفات الكريمة ، مهما قل المتحلون بها ، فانها تظل ابدا المثل الاعلى ، والهدف الاسمى ، الذي يدعو اليه المصلحون ، وينتحله اصحاب المطامع . وغاية ما ادعوك اليه ، ان تبذر بذرة الخير والحق والجمال حتى ولو كنت وحدك في مجتمع ينكر كله الخير والحق والجمال .

بني الغالي : ستبصر عيناك الجميلتان النور ، بعد ساعة ، او ساعات ، وثق اني وامك العزيزة سنعنى بك . وسنبذل قصارى جهدنا في تربيتك وتثقيفك . وقد اعددنا ، منذ كنت جنينا ، اسما لطيفا لك ، سواء كنت ذكرا ام انثى ، ونسقنا لحياتك برنامجا فيه كل الخير والنفع لك . وفي جملة هذا البرنامج ان لا نضيع دقيقة واحدة من عمرك سدى ، لاني وامك نكره ما يسمونه باتلاف الوقت او قتله ، ولنا صديق مشترك نقتصد من اوقات سمرنا ولهونا ليخلو كلانا اليه ، فيحدثنا اطيب الاحاديث ، ويرفه عنا اجمل ترفيه ، ونحس في صحبته انا انسانان جديدان ، نتقدم ونرقى في الحياة كلما صحبناه . وهو وحقك يا بني الحبيب اوفى صديق عرفت ، لم يغدر بي يوما ، ولم يخن ودي مذ عرفته . ابذل القليل من اجله ، فيبذل الكثير من اجلي . ما سألته النصح يوما ، الا محضني اياه ، ولا استوضحته امرا الا افادني ، وافاض في فائدتي . لم يمنن علي بخير اسداه ولا نظر الي نظرة فيها كبرياء .

هل عرفت ايها الحبيب ، صديقنا الغالي ، الذي اصطفيناه واحببناه ، فاصطفانا واحبنا ، وغالى في الاخلاص وبذل الخير والفائدة ؟ اخالك قد عرفت انه الكتاب القيم الثمين .

قلت اني وامك لن نضيع دقيقة واحدة من وقتك ، لاننا نكره اضاعة الوقت ، وسنعمل ما حيينا لكي تستفيد من هذا الوقت ، فاذا ما قدر لنا ان نزول قبل ان تكبر او اتيح لك ان تستقل برايك في الحياة فحاول ان يكون الوقت صديقك الوفي ، لا تغدر به ولا تقتله كما يفعل الاخرون ، في المقاهي والملاهي ودور السينما . ليكن الوقت صديقك . لا تقتله ولا تقاتله ، لانه مادة الحياة الاساسية . وكم يجني الانسان على نفسه ، حين يمد يده ليعادي اجدر شيء بالصداقة . ليكن وقتك صديقك افد منه بالمطالعة ، وبحيث ما يعود عليك بالنفع ، واستعمل النزر اليسير منه في لهو بريء تروض به ذهنك وعقلك وتحث به فكرك على مواصلة العمل النافع لك ولوطنك وامتك .

ثق بانك ستعيش في زمن لهوه اكثر من جده ، ووسائل اللهو تتجاذبك ذات اليمين وذات الشمال . فاذا لم تقاوم اغراءها ضعت واضعت . وما احب ان تكون عدوا للهو والمرح ، ولكني افضل ان تأخذ منهما بمقدار ، او ان تجعلهما كملح الطعام ، كثيره يفسده ، وقليله يفقده لذته .

انك ستعيش في عصر ، لا قيمة فيه الا للمادة . فكثيرون لا يحترمونك الا من اجل مالك . وبعضهم لا يلقي عليك السلام الا من اجل المال ، واحتراما لذهبك ، وتقديرا لعبقريته الوهاجة .. لقد بات المال كل شيء في هذا العصر ، يترامى الناس على الموت من اجل جمعه . بعضهم يسفح كرامته في سبيله ، وبعضهم يسرق ويذبح سمعته وماضيه ومستقبله من اجل الحصول عليه ، لايبالي – ان فاز به – بالسمعة ، ولا بالماضي او بالحاضر والمستقبل . وبعضهم يقتل اخاه او اباه او يسرق صديقه او شريكه ، ويضحي بكل شيء ، من اجل الغاية ، التي يعتقد انها تبرر الواسطة ..

دمشق

عبد الغني العطري

الطبيعة في شعر الرصافي

بقلم خضر عباس الصالحي

***

انفعل الشاعر معروف الرصافي في تجاوبه مع الطبيعة، فوصف مفاتنها الجميلة في العديد من قصائده التي أودعها هواجسه وتأملاته ، وصورها تصويرا غنيا بالابداع والخيال والجمال ، وعاش لحظات رائعة ، ينساب مع خواطره واحاسيسه المشحونة بفيض افكاره التي تعكس البساطة والتحسس النفساني بما في عالم الطبيعة من لوحات فنية ومشاهد مثيرة ، لها تأثيرها الشعوري في نفس الناظر عبر آفاق نائية من الخيال الطليق ، فقال :

ألا ان الطبيعة ذات حسن ... يجل عن التقاضي والتفاشي
فتلك حبيبة لا بد منها ... وان عذل الرقيب ولام واشي
تمل جمالها وانظر اليها ... والا عشت في صدأ المعاش

وفي هدأة الليل ، وتحت السكون الشامل ، بينما كان الرصافي يتنزه على جسر مود (يسمى حاليا جسر الاحرار) وهو يتطلع الى البدر الذي بدأ يسكب اشعته الفضية في امواج دجلة الحالم الوديع ، حتى استثار هذا المنظر الاخاذ عواطفه المكبوتة ، ومشاعره الدفينة ، فقال :

ولقد وقفت بجسر (مود) عشية ... والبدر في افق العلا يتلالا
والليل يلبس من سناه مطارفا ... منها يجر بدجلة اذيالا
اما النسيم فقد جرى متعطرا ... وحكى بطيب هبوبه الاميالا
وجبين دجلة قد صفا متالقا ... فحكى السماء محاسنا وجمالا
فحسبت نفسي في السماء مشاهدا ... تحتي بدجلة للسماء مثالا
ورأيت من فوقي السماء حقيقة ... ورأيت من تحتي السماء خيالا
فكانما انا في السماء محلق ... طورا اسفو تارة اتعالى

***

لله ما شاهدته من منظر ... يدع الكئيب كشارب جريالا
حفت جوانبه بكل بديعة ... فزها جمالا واستقل جلالا
حتى نخيل الجانبين جميعها ... قامت له بحفاوة اجلالا

وحينما كان يصطاف على شاطىء ((البسفور)) في تركيا استلفتت نظره الامواج الراقصة التي تعبث بها الريح ، فقال :

وفي البحر تجري موجة اثر موجة ... كجري طموح الخيل اذ يتوقص
ويزيد أعلى الموج حتى كأنه ... هضاب الى اطرافها الثلج يخلص
كأن رياح الجو عند هبوبها ... تغني وهذا الموج في البحر يرقص

وفي فضاء ((الاعظمية)) بينما كان الرصافي يستروح النسائم العبقة ، وهو يتجول على شطآن دجلة الخضراء ، كانت الشمس في النزع الاخير ، تجنح للغروب ، وترسل آخر اضوائها الشاحبة الرعشاء، فاهتز لهذا المشهد المائج بالفتنة ، فقال :

نزلت تجر الى الغروب ذيولا ... صفراء تشبه عاشقا متبولا
تهتز بين يد المغيب كأنها ... صب تململ في الفراش عليلا
وغدت بأقصى الافق مثل عرارة ... عطشت فابدت صفرة وذبولا

غربت فأبقت كالشواظ عقيبها ... شفقا بحاشية السماء طويلا
شفق يروع القلب شاحب لونه ... كالسيف ضمخ بالدما مسلولا
كالخود ظلت يوم ودع الفها ... ترنو وترفع خلفه المنديلا

***

لم انس قرب ((الاعظمية))موقفي ... والشمس دانية تريد أفولا
ومن اليمين أرى مروج مزارع ... ومن الشمال حدائقا ونخيلا
ووراء ذاك الزرع راعي ثلة ... رجعت تؤم الى المراح قفولا

وفي قصيدته ((وقفة في الروض)) تدب روح الربيع الطلق في اعراق الطبيعة ، فتشيع فيها السخاء والحيوية والدفء ، وتكسي الارض الجدباء بالحشائش والاعشاب والمروج ، وتتفتح براعم الاشجار، وتتاود مختلف الاوراد الزاهية في قمم الهضاب ، وعلى منحدرات التلال ... وفي ذلك الروض الباسم اذ كانت النافورة تنثر قطراتها المائية المغموسة بالانوار البراقة ، ترنحت اعطاف الرصافي الشاعر الرقيق الاحساس ، الملتهب الشعور ، المجنح الفكر في عالم اخضر رفاف ...! فقال :

ناح الحمام وغرد الشحرور ... هذا به شجن وذا مسرور
في روضة بشجي المشوق ترقرق ... للماء في جنباتها وخرير
ماء قد انعكس الصفاء بوجهه ... وصفا فلاح كأنه بلور
حيث الغصون مع النسيم موائل ... فكأنهن معاطف وخصور
مثلت بها الاغصان وهي منابر ... وتلت بها الخطباء وهي طيور
للنرجس المطلول ترنو أعين ... فيها وتبسم للاقاح ثغور
وكأن محمر الشقيق وحوله ... في الروض زهر الياسمين يمور
شمع توقد في زجاج احمر ... فغدا حواليه الفراش يدور
وتروق من بعد بها فوارة ... في الجو يدفق ماؤها ويفور
يحكي عمود الماء فيها آخذا ... صعدا عمود الصبح حين ينير
ناديت لما ان رأيت صفاءه ... والنور فيه مغلغل مكسور
هل ذاك ذوب الماس يجمد صاعدا ... أم قد تجسم في الهواء النور
تتناثر القطرات في اطرافها ... فكأنما هي لؤلؤ منثور
ينحل فيها النور حتى قد ترى ... قوس السحاب لها بها تصوير

لقد زهد الشاعر معروف الرصافي في ايامه الاخيرة بالدنيا ومباهجها ، وانقطع الى حياة التأمل ، وجنح بكليته الى وصف الطبيعة، واصبح دائم التطلع للآفاق البعيدة ، ومضى خياله البارع فصور مفاتن الطبيعة ، الطبيعة التي ستبقى ينبوعا زخارا للشعر ، فأبدع صورا تأملية رائعة ، تتسم بطرافة المعاني ، والتعابير الرقراقة ، وتفيض بالاحاسيس الرهيفة ، وتحفل بالالوان والرؤى والصور البديعة ، وتتدفق بالالفاظ الشعرية الثرية بطاقات كثيفة من المعاني الجميلة الساحرة ..!

انها صور فيها كل الجمال والروعة والسحر ، اخرجها في اطار بديع ، طريفة في شكلها ، جديدة في مضمونها ، تزخر برقة اللفظ ، وجمال المعنى ، وتسيل حلاوة وعذوبة ، وتموج بالاحساس الشاعري المتدفق النادر المثال ...!

ان قصائده في وصف الطبيعة تعد من بدائع الفن الجميل ، يجسد فيها المعنى فيلبسه ثوبا رائقا من الخيال والعاطفة والشعور، وتنساب في شراييننا موسيقى عذبة ، فتهزني وتثير مشاعري بصورة غريبة ، ويشمل القارىء من سحرها ...!

ان هذه الصورة والالوان المستوحاة من مناظر الطبيعة الخلابة ستظل خالدة ابد الدهر ...!

بغداد — خضر عباس الصالحي

التوافق بين الحضارة والتنشئة الاجتماعية

بقلم محمود الحسنية

* * *

لا يستطيع المرء ان يتجاهل حقيقة الاوضاع التي ادت الى بلورة النظم العملية في جوانب الشخصية ، والى تقدم اجزائها ، التي يعرفها باسم العلوم الاجتماعية ، وما نالته في ميادين المعرفة ، الا انه لا يزال ينشد المزيد ، من حل الغاز كثيرة ، واسئلة تطرح عليه ، في موضوع طبيعة الانسان وسلوكه .

لذلك ركزت الانتروبولوجي الانتباه، على فهم اعمق، المشاكل الاساسية، التي تعترض طبيعة الانسان، وسلوكه، وعلى توضيح شامل، لمعالم الحضارة ... واستعمل علماء القرن العشرين مقاييس ، في تخطيط وتحديد هذه الماهية ، كالوراثة ، والتقاليد الاجتماعية ، والبيئة ، والتطور ، وكيفية اعداد الكائن الانساني ، لنوع الحياة الراشدة ، بالاضافة الى زيادة المعرفة ، بعملية التوريث الحضاري ، والالمام بما يؤول الى كل تطور وتغير افضل، لان الحضارة معرفة تكمن لدى الافراد من بني الانسان ، تنتقل من جيل الى جيل ، وتعالج في طريقها حل المشكلات ، القائمة بين العالم الخارجي وعالم الانسان الذاتي .

ولا بد للمرء ، من ان يميز ، بين المجتمع وشخصية الحضارة ، بدراسة تحليلية ، تبين مدى نموه ، ونموها في الوجود، مؤكدة ان تطوير المجتمع ببناء الشخصية، ظاهرة انسانية ، ترتكز على العلم ، والتقدم المادي ، والاخلاق . وطبيعي ان يميز ، ان تكوين الانسان ، من الحدود المادية ، يقوم على عناصر كيماوية ، توجد في الحيوانات ، ومن الوجهة البيولوجية يتصل بكائنات الطبيعة الحية ، وفي اطار النظرية التطورية ، يتضمن مستوى الاداء الوظيفي الثاوي في الجسم الانساني، امكانات، تميزه عن الحيوانات، وتبين تفوق قواه ، في النظام العقلي ، والروحي . وان اتصال الكائن الانساني بغيره من نوعه ، هو احد الشروط الضرورية ، للكسب الذاتي ، اما الانعزال الجسمي ، او الاجتماعي ، والحسي ، لا يساعد على تحقيق ذلك الكسب، بل يجعله امرا مستحيلا . فالبناء النفسي ، يعتمد اولا وآخرا، على الخبرة الاجتماعية، كوسيط يتفاعل مع افراد آخرين ... وحيث ان البناء ، الذي تمثله العلاقات المنظمة ، للافراد المكونين لها ، هو تحقيق لقدرتهم ، على التوافق الاجتماعي ، عن طريق التعلم، فالتحليل يبين أن المجتمع ، انما يعتمد ، على العمليات النفسية ، وان دوام اي نظام اجتماعي ، لاي وقت ، رهن بتغيير اشخاصه ، يتطلب جهودا ووسائل ، تحثه على العمل ، وترعاه بطرق معينة ، كما وان عملية التنشئة الاجتماعية هي الجانب النفسي ، المرافق لعملية النضج السياسي ، تتكامل معها ، وان اختلفت في النهج والاسلوب . ويتطلب الكيان النفسي ، للوجود الانساني ، مستوى من التكامل ، مع قدرة من التنظيم ، والتوجيه ، تستوعب معرفة العلاقات المتداخلة ، بين العقل والمجتمع ، والحضارة .

وفي بناء الشخصية الفردية ، من الوجهة النفسية ، يبدو ان الافكار النظرية ، التي ترافقها في مراحل التطور، تضطر الفرد ، على التفكير في تنظيم ذاته ، بطريقة خاصة، وتوجهه نحو التشكيل النفسي ، والعلاقات المتباينة ، في تنظيم الشخصية ، وفي الفروق السلوكية . وحين نسلط العقل ، على الفكرة الشاملة ، من ان الافراد هم وحدات المجتمع ، وحملة الحضارة ، نستطيع ان نرى بوضوح ، اكثر ، التحديد الذي يفرض ، على هذا النوع من التفكير ! .. حيث تحل الافكار البناءة ، محل التصور القديم ، في المجتمع ، عند اي تحليل اجتماعي ، وتبدو لنا الشخصية ، بانها نمط من سلوك مميز ، يواكب نزعات خاصة ، في وسط اجتماعي ، دائم التنظيم لدى الفرد ، يصاعد قوى الشخصية ، على تحديد الاستجابة ، في مختلف المواقف ، غير ان السلوك ، مهما كان مطابقا، ليس هو نفس الشيء، الذي ندعوه شخصية. فالشخصية، تثوى خلف السلوك، داخل الفرد ، وهي نتاج قادر ، على البعث ، في الوعي الذاتي ، وفي البيئة الاجتماعية ، لذا يجب ، ان نعتبر ان خبرة العالم ، في نطاق ادراكي مشترك ، هي العامل الرئيسي ، في تكامل الحضارة ، وتنسيقها ، بين المجتمع والشخصية ، وان التاثيرات المنبثقة ، من العوامل الحضارية ، تزيد الانسان ادراكا، في استيعاب الوظيفة الاجتماعية، وتفهما، يشمل الاتجاهات الحضارية، اذ عندما يتعلم المرء ،سلوك حضارة معينة، باتقان، ويدرس لفتها، فذلك ليعي انماط تلك الحضارة والعلاقات الدقيقة، الملمة بها ، دون ان ينتمي اليها ، وحقيقة دراسته فيها موضوعية ، يندفع اليها بشغف ، باحثا عن قواعدها ، منقبا عن تاريخها ، لا ليعيشها ، بل ليأخذ عنها ، ويكتسب منها ما يوافقه ويشبع نهم حسه القومي ، عبر حدود افقه ، وادراكه ، وتوافقه النفسي لها . واي اتجاه ، في مفهوم اية حضارة ، يرمي الى الكشف عن الاساس البنائي ، والوسائل المميزة لحياة [illegible]سان ، والى الاخذ بمعالم بعض الحضارات العريقة ، [illegible] مع طبيعة المفهوم ، والنمط الحضاري .

قد يكتسب المرء الحضارة ، عن طريق التعلم ، في

عملية التنشئة الاجتماعية ، كما يكتسبها بواسطة علاقات [illegible] حال مختلفة ، أو بالسعي وراء حاجات شخصية ، او [illegible] سامية . اذ ليست الحضارة التي يعيشها الفرد ، شيئا منفصلا عنه ، ولا عن التنظيم الذي يؤدي الى الحياة الجماعية ، وانما هي تعبير ، عن توافق ، لمجموع اكبر ، يحمل في ذاته القدرة ، على هضم ما يستوعب ، من رغبات تستهدف كماله ، وتربية اجياله المتعاقبة .

وكل حضارة ، لا تعتمد على تنظيم مميز ، لمجموعة من الافراد تختفي ، وتضمحل ، لانها تحمل في ذاتها عناصر الانحلال ، والزوال ، وان نفسية التحضر ، تقوم بتغييرات مركزة ، في شتى مناحي الحياة ، على انماط حضارية جديدة معتدلة ، تضمن التوافق ، في العادات والاتجاهات والاهداف ، وتلم بعمليات الافراد ومشاكل الجماعات وما ينشأ عنها ، من تفاعلات معقدة ، وعوامل كيفية ، لا تتلاءم بمسافة ، وزمان .

وان نموذج بناء الشخصية ، الذي يعده الفرد للمعيشة الجماعية ، في مجموعة من الحدود الحضارية ، لا يعد لتوافق ناجح ، الى اقصى الحدود ، ومع ذلك ، فان لدى الجماعات القدرة ، على تنظيم الشخصية ، التي تساعدهم تحت ظروف انسانية ، ووطنية ، في ان يتوافقوا . . وعلى هذه الوقائع النفسية ، تدخل المجتمعات ، في مرحلة التطور الحضاري .

ويقول الاستاذ ايفانز بريتشارد Evans Pritchard كل انسان ، يمضي في تصريف شؤونه ، وفق نظام خاص له ، من الحياة الاجتماعية ، ومع ذلك ، فالناس يعرفون نوع السلوك المطلوب منهم ، ونوع السلوك المطلوب من الاخرين ، فيوجهون نشاطهم ، باداء مركز ، نحو القيم والنظم المختلفة ، ويقررون مصيرهم ، وما يناسب اقرانهم ، ضمن مجتمع ، له شكله ونمطه ، حيث يمكننا ان نعتبر ، ان الفرد ، قادر على الوعي الذاتي ، وعلى الوعي بعلاقات الذات ، وان قدرة الانسان ، تتميز ، في فهم مقتضيات ، توافق الطرق الاجتماعية ، والحضارية . وان الوعي بالذات ، متداخل في الموقف الانساني ، كما يتداخل البناء الاجتماعي ، في مداميك الحضارة .

وبهذا النظام المؤدي الى نقل ، او وصل المعالم الحضارية ، لا يستطيع المرء ، تأدية رسالته بعيدا ، عن ممارسة معاني القيم الجماعية حتى ولو ركزها على قواعد فنية من العلم ، ومن التقدم المادي . . . بل يجب ان يبقى في عملية التنشئة ، صراع الكبت ، والخوف ، والمحبة . . . ويرافق كل تطور جماعي ، توافق كلي ، في تأدية الرسالة الحضارية ، فشخصية الفرد ، والمجتمع ، والحضارة وحدة ، تؤدي رسالتها ، كوحدات متكاملة ، في ميدان أوسع ، من الحقيقة الانسانية ، ومجموعة الفنون التي تربي الذوق ، وتمتع الاحساس بالجمال ، في رؤية ادواتها واستعمالها .

وهكذا تلتقي التنشئة الاجتماعية ، مع شخصية الحضارة ، المنشودة بتلاقي مختلف تيارات العلم ، والفن ، والتقدم المادي ، فتنير الوعي الذاتي ، وتقوي فيه الحس الانساني ، على نمط ، تسوده الحرية والاخلاق وتتوافق فيه القوى المتفاعلة . .

محمود الحسنية

رؤى الاماني

كلما هدهدت رؤاك الاماني	عبرت بي ما بين شك وظن
بين رؤياك يا أعز رؤى العمر	وافواف ما يصوغ التجني
بين عينين تلهماني شعرا	وجبين مهدهد بالتمني
بين ما فيك من تلهف انثى	لهوى شاعر وابداع فن

***

كم قرات الهوى بنظرتك الولهى	واعرضت يا مدلة عني
وتباعدت كي تثيري هياما	كان يغفو في خافقي المطمئن!

الشارقة — **صقر بن سلطان القاسمي**



ابراهيم عبده الخوري

شاعرية ابراهيم المنذر

بقلم ابراهيم عبده الخوري

كثيرون هم الادباء الذين وضعوا ، ايام الحكم العثماني والانتداب الفرنسي ، قصائد ومقالات ، جاء معظمها يصور احداث هذا الوطن ، والازمات التي تعرض لها بنوه ، والمضايقات التي كانت تفرضها عليهم السلطات الحاكمة آنذاك ... وكان الشيخ ابراهيم المنذر احد هؤلاء . وقد خلف ادبا كان للوطنيات فيه والاجتماعيات أوفر نصيب .

لقد كان عنده ميل أصيل الى طرق دولتي النثر والمنظوم منذ دراسته الابتدائية . وقد رافقه هذا الميل طيلة حياته .

ففي حياته التعليمية مثلا ما انفك يعد الابحاث والمحاضرات ويضع القصائد . ورغم انشغاله بالقضاء والمحاماة ، ورغم تقلبه في عدة مناصب حكومية حساسة، فانه لم يدع مجالا الا وكتب فيه كتابات بقيت صورة صارخة للمجتمع اللبناني الذي كان يئن تحت نير العبودية ، ويرزح تحت ظلم الاستبداد . وطيلة سنيه النيابية ما كان الا سياسيا لامعا ووطنيا حرا ومناوئا للانتداب الفرنسي وداعيا الى الاستقلال التام .

خدم الشيخ ابراهيم المنذر العديد من الجمعيات الخيرية ، ونادى بتوحيد مناهج التربية والتعليم ، وبوضع المعاهد الاجنبية تحت اشراف وزارة التربية اللبنانية . ودعا الى الغاء الطائفية . وطالب بالتجنيد الاجباري وباعطاء المغتربين كامل حقوقهم . كما انه ناصر الادب بكل قواه ، لان الادب يعمل على بقاء الامة . انه يعزز مكانتها ويطور اصول حياتها .

وعمل في الحقل الصحفي ، فترك مقالات وقصائد متنوعة الابواب في جرائد المنار والحرية والبرق والمعرض والاحرار والاصلاح .. وفي مجلات العرفان والمعارف والفجر والمرأة الجديدة وبيت لحم ... كما انه راسل عدة صحف عربية كانت تصدر في المهجر ، منها مرآة الغرب والبريد ويقظة العرب والوطن .. وجاء ما كتبه ونظمه شاملا النقد اللغوي ومختلف شؤون الادب والسياسة والاجتماع والاقتصاد والتشريع والتوجيه الوطني والخلقي .

برع في الخطابة الى درجة انه لقب بشيخ المنابر . وله خطب وافرة في النثر والشعر . والف عدة تمثيليات منها : الاعرابي ، الامير بشير الشهابي ، المملوك الشارد ، اسير القصر ، علي بن ابي طالب . ووضع عدة محاورات مدرسية . ونشر كتابا في النقد اللغوي وعشرات الاقلام اسماه « كتاب المنذر » . وترك مقالات تناول فيها النقد السياسي والاجتماعي ، وكانت بعنوان « حديث نائب » .

هذا الانسان تعلق بالوزن والقافية منذ صغره. فتعرض لعدة فنون شعرية دفعته ، فيما بعد ، ان يكون لنفسه مكانة معروفة بين شعراء جيله ، وان لم يوفق في جميعها .

طرق باب الرثاء . فكان لا يرثي الا الاشخاص العزيزين على قلبه ، والذين يتركون فراغا بعد مماتهم لا يسد بسهولة . وكان يذرف عليهم دموعا حرى ، ويذكر صفاتهم الحميدة ، وخدماتهم الوطنية والاجتماعية والادبية . يقول في رثاء الرئيس حبيب باشا السعد :

ولو بدا بين ايدي الناس معجمه	سمعت باذني السهم في قلبي
واكبرت خطب المجد فيه وهل دروا	بلبنان ما يلقون من ذلك الخطب
هوى كهوي الطود فارتاع قومه	وقد ذكروا آيات منطقه العذب
عظيم سما واحتل اعلى ذرى العلى	ولم يك في برديه شيء من العجب
سماح واقدام ولين عريكة	وحزم ولطف فاض منصدره الرحب

وفي رثائه الشيخ ابراهيم اليازجي ، وقف يتحدث عن معجم الراحل ، ويعدد مآثره ، وسهره على سن القواعد وتهذيب اللغة وتقويم اصولها :

ولو بدا بين ايدي الناس معجمه	لاصبحت معجمات العرب تنهزم
ذوو المعارف من تياره اغترفوا	وفيحمى علمه الصافي قد ازدحموا
كم بات يجلو الخطوب السود ثائرة	تخرصا وافتراء وهو يبتسم
سن القواعد والالفاظ هذبها	حتى غدت عنده الكتاب تحتكم
واصبحت لغة الاعراب ناطقة	بفضله ليس يعرو وجهها صمم

وفي باب الوطنيات وضع انتاجا قام على النصائح ، والارشادات ، والمطالبة بالاستقلال التام ، والسيادة الكاملة والحرية المطلقة . اسمعه يقول في قصيدة نظمها في اول آب سنة ١٩٢١ ، دعا فيها ابناء وطنه ان يهبوا ويطالبوا باعطائهم الاستقلال الكامل :

نادوا بالاستقلال ابناء الوطــــن	وتمسكوا بالحق واطرحوا الزين
فقد مللناها ونــد بنا الزمــن	والى الوراء نسير لا نتقــدم

ثم طالبهم ان يبتعدوا عن دروب السياسة الفاسدة التي تعمل على فصل البلاد، ودب بذور الشقاق والخلاف بين ابنائها. يقول:

ودعوا السياسة انها من اصلها	فســدت ولم نبرح نحن لوصلها
ما بين توحيد البلاد وفصلهـا	تقضي البلاد وليس من يترحـم

ويقول في قصيدة بعنوان « تحية الى لبنان »:

يحييك من يقضي الخطوب عن الحمى	ويستل للجلى القنا والقواضبـا
يحييك من يردي عـداك ويبتغي	علاك ولا يخشى الـردى والعواقبا
يحييك اهل الارض طـرا لانهـم	رأوك نعيـم الارض تعلو الكواكبا

وخاطب الشاعر الدول العربية، فدعاها الى نبذ الخلافات فيما بينها، والعمل لتوحيد كلمتها وتطوير الحياة في ربوعها:

أأحرار هـذي البلاد اقتدوا	بكـل همام ابـي جســور
ورقـوا النفـوس باعمالكـم	ولا تبحـثوا في حقـير الامور
ولا تنصروا غيـر كـل كريـم	يكـون لنـا منـه نـار ونـور
وصونوا المحافـل من كل نقـص	وضموا اللبـاب وخلـوا القشور
وجـدوا بصبـر لنيل الامانـي	فما فاز بالنجح غير الصبـور

ونظم قصيدة ميمية بعنوان « الامل الهاوي » خاطب فيها دمشق، فذكرها بمجدها الخالد، وعزتها الشامخة عندما كانت عاصمة الخلافة، وتحدث عن ازدهار اللغة على ايدي اقطابها واعلامها الاقدمين. ولكن الازدهار هذا لم يدم، وهناء ايامها قد ولى، وبكى فؤادها لاصابة العلم فيها بنكسة ولضياع كرامة بنيها:

لا العلم زاه ولا روض الحمى نضر	ولا كرامة لابن الشام في الشـام
وراحت اللغة الفصحى تقول لنـا	نكستم بعد ذلك المجـد اعلامـي

ولتحية جمعية « العروة الوثقى » وضع قصيدة استهلها بالقاء السلام على ارواح الشهداء، واكد ان استشهادهم في سبيل بلادهم هو خلودهم بالذات. وبعد ان يذكر كرامة افراد هذه البلاد وشجاعتهم وصدقهم، يختم قصيدته محييا الجمعية:

وما هي في عرف النهى غير غرسة	لبان الهدى تغذى وماء الندى تسقى
وكل امرىء حر الخلال مهـذب	يحيي معي جمعية العـروة الوثقى

وهناك باب الاجتماعيات، وقد اهتم به الشيخ ابراهيم المنذر اهتماما بالغا. فما كان يضع قصيدة اجتماعية، الا وتراه يتوخى من ورائها تقديم الارشادات للجيل الطالع، فيطلب منه ان يتحمل المسؤوليات، ويتمثل باعلام من عندنا وقفوا حياتهم على الجهاد وسطروها بأحرف من نور، ويهتف بتاريخنا الحافل بالامجاد التليدة:

ليس يكفي ان نرى تاريخنـا	ضاربا في قمة المجد قبابـا
بل علينـا القدوة المثلى بمـن	ملأوا الشرق جهـادا وطلابـا

ويقول في قصيدة « الجهاد حياة »:

من جد فـاز ومن خانته همتـه	هوى وما خـاب في المضمار عداء
فلا تكونوا اذا في المبطئين فكـم	جنى على المـرء يوم الروع ابطاء

ووجه كلامه الى الاثرياء، فطلب منهم ان يقدموا المساعدات للفقراء، ويساهموا من جيبهم الخاص في فتح المدارس بعدما اصبح انتشار العلم ضروريا:

ايهـا الاغنيـاء صونوا حماكـم	وانشروا العلم واعضدوا كل ميتم
ايهـا الاغنيـاء جـودوا والا	فضعيف الديـار لا بد ينقـم
ان عـرش الغنـي، وهو عقيـم	ولئـن طـال عهـده، يتحطـم

واهتم بالفتاة، فطالب بتهذيبها، وتثقيفها، وارشادها حتى تصبح انسانة نافعة في المجتمع، تتحسس مشاكله، وتعي واجباتها تجاه افراده:

هذبوهـا اذا اردتـم علاهـا	فبغير التهذيب لن ترفعوهـا
هذبـوا خلقهـا ورقوا نهاهـا	وارفعـوا قدرها ولا تهملوهـا

اما اذا انحرفت هذه المخلوقة عن خط الفضيلة، فمن الافضل دفنها:

واذا لم يكـن من العار بـد	فحيـاة الفتـاة ان تدفنوهـا

وفي ايامه كثرت الهجرة، فتألم اشد الالم وهو يرى فلذات اكباد من عندنا يتركون الوطن الام قاصدين بلاد نائية.. نائية، لا يعلمون اذا كانوا سيعودون اليه ثانية:

اني لاسف ان القى بني وطني	يسارعون لهجر الشرق انفـارا
شط المزار بهم عن عقر دارهـم	وقلمت لهـم الايـام اظفـارا

وبعد، ماذا نستنتج من هذه الابيات التي مرت امامنا؟ نستنتج منها انها جاءت نابضة بالاحاسيس الانسانية. فلا عجب، ان صاحبها ما كان يضع القصيدة الا بعدما يغمر الاحساس كيانه. فتأتي عامرة بالمعاني، عدا ان اسلوبا في غاية الجزالة ماشاها.

قد لا يكون الشيخ المنذر حظي في شعره الشهرة التي نالها في نثره. على انه يظل في دولة المنظوم شاعرا جابهت شاعريته صروف الايام بعناد وصلابة.

ابراهيم عبده الخوري



بنت العم

مجموعة مسرحيات — تأليف فوزي الميلادي — ١١٠ صفحة — قطع كبير — سلسلة الكتاب الماسي — مطبعة الدار القومية للنشر بالقاهرة .

سمعت الاستاذ فوزي عبد القادر الميلادي لاول عهدي به في احدى احتفالات الاسكندرية يعلق وينقد ببراعة واعجاب ، فسألت عنه ، فعرفت انه احد كبار القانونيين في الجمهورية العربية ، فهو مستشار لامع الكلمة والمكانة معا ، ولم اعجب اذ ذاك لتفوقه النقدي في مضمار البيان ، فالادب والقانون صديقان ..

ثم اخذت اقرأ مسرحياته الكثيرة التي ينشرها في الصحف الادبية المرموقة او يجمعها في مؤلفات تصدر عن كبرى دور النشر في وادي النيل ، فكنت أرى فنا من الادب المسرحي يأخذ مكانه في المكتبة التمثيلية ، وهو اذ يجمع الى دقة الملاحظة وعمق النظرة اشراق البيان ووضوح الصورة يذكرنا بملكته الخطابية النقدية ، ولست اقول هذا الكلام وحدي ، ولكني استمع الى اراء الاساتذة عزيز اباظه ومحمود تيمور ومحمد فريد ابو حديد وصديق شيبوب . وهم من اعلام الادب في مصر ، فاجد ثناء جما مملا محللا في مقدمات حية وكلمات منصفة، تدل على ان الحق لا يعدم انصاره من المنصفين ، وكنت اتمنى الا يقصر الاستاذ نشاطه الادبي الكتابي على التمثيلية فحقق الله ما اريد واخذت اطالع الان في مجلة الرسالة فصولا من النقد الادبي يكتبها المستشار القصاص الناقد الاديب .

وسأتعرض الان الى مجموعة (بنت العم) لا من حيث الحوار والاسلوب ، فقد اطال الكاتبون في فن الاستاذ ، ولكن من حيث الهدف الاصلاحي والمغزى الاجتماعي ، ولست اريد بذلك ان المز من يتجهون بالفن للفن وحده ، ولكني اقول ان اكثر مسرحيات الكاتب ذات هدف توجيهي مع ابداعها الفني وتحليقها الطائر ، واذا اكتمل للاطار الباهر صورة وضيئة الملامح بارعة الظلال فقد استحق التنويه وفتح المجال للكلام .

وقبل كل شيء اقول ان الكتاب في طبعته الاولى مهدى الى توفيق الحكيم رائد المسرحية العربية العملاق ، واكبر ظني ان الاستاذ الميلادي يحاول بهذا الاهداء المنصف ان يعبر عن احترامه لرائد قرأ ادبه واستفاد من طريقته ، وانا بكل صراحة اجد تأثير توفيق الحكيم في انتاج المؤلف واضحا ملموسا ، ولست اعني بذلك انه تأثير الاقتداء والاحتذاء فهذا ما يرتفع عنه الفنان الموهوب ، ولكنه تأثير الاستشفاف والالهام ، فالرجل يعرف جو توفيق وسبحاته ثم يحاول ان يخلق جوا فنيا كجوه يستمد وجوده الادبي من ذاته الشخصية لا من قراءاته الدراسية ، وقد وفق الى ذلك توفيقا يستحق الثناء ! حتى ليخيل لمن يقرأ مسرحية المخادع مثلا انها من صنع توفيق ! لان براعة الميلادي في رسم مظاهر الملق والنفاق ، وانحدار الرؤساء الى ميول المرؤوسين تحت تأثير المنافع المتبادلة ، والاخذ المشترك مع ما يجري وراء ذلك من عوامل الدس والوقيعة ومحاولة تشويه الحقائق ، وتعمية المحاسن وتجسيد القبائح وكثرة التخرص والافتيات . كل ذلك قد برع فيه الميلادي براعة الحكيم ، وقد افادته خبرته القانونية في احكام الحيلة ، واتقان الجزاء اذ استطاع ان يجر حسن المخادع الى كتابة استقالته من الشركة ثم يدفعه الى استلام مكافاته عن رغبة واختيار بل عن بهجة وانشراح ، حتى اذا فقد اسلحته القانونية في الالتجاء الى القضاء بادر باعلان فصله من الشركة فصلا كان موضع الارتياح من القراء .. لانه اعطى الجزاء الرادع لانصار الانتهازية ممن يحاولون ان يكونوا فوق الرؤوس لا عن طريق العمل والجد بل عن سراديب النفاق والتدليس والاحتيال ..

اما المسرحية الاولى من مسرحيات المجموعة فنافعة اجزل النفع لمن يهتمون بالتحليل النفسي ، ويرجعون ببقايا العقد والمركبات الى اصولها الحقيقية اذ ينقلون الشكوك الموهونة ، والتخرصات المحتملة من ضباب القلق والحيرة الى ضياء الجزم واليقين ! والحق ان مسألة الثقة التامة في محيط الاسرة تحتاج الى تدعيم راسخ يرد كل عاصفة تهب !! وقد لمس الزوج شكوك زوجته فهداه التفكير الى استشارة طبيب حاذق يكشف دواء عجيبا للصدق ، هذا الدواء يتناوله الزوجة والزوج معا ببراعة فائقة جعلت المؤلف يسير بالعلاج سيرا طبيعيا فهو يملأ الجو بايحاءات مريبة ويخلق من المفاجآت ما لم يكن يتوقع ، ولكنه في النهاية يصل بالاسرة الى السلام حين يتعاطى الزوجان معا نصيبهما المقدور من السائل العجيب ، ثم يسفر الدواء عن سلامة النية فيؤكد اسس الحب ويعيد شمس الصفاء الى سماء حالكة تلبدت بالغيوم ، وكادت تسقط الصواعق فتنذر بالفناء !!

هذا العلاج النفسي البارع يتطلب ذخيرة قوية من الخبرة الحية ، ويعتمد على ملاحظة بارعة تفضي اليها وفرة الدراسة ، وطول المران ، وقد حكى لي بعض من قرأ هذه المسرحية من الاصدقاء انها صادفت موضع الارتياح من اسرته اذ صورت مشكلة حقيقية ، واعطت الزوجة جرعة قوية ذهبت بشكوكها الموهومة ذهابا رجع الى البيت بالصفاء والوئام .

وقد اعتمد الكاتب في بعض مسرحياته على المفارقة العجيبة التي تقلب الامر رأسا على عقب ! والمفارقة في يد الكاتب الضحل عمل طفلي عابث يدعو الى السخرية ولكنها لدى كاتب اصيل كالاستاذ فوزي الميلادي عمل بارع يستدعي الاعجاب وبخاصة اذا كانت تلي حوادث بعيدة لا توحي بالنتيجة لدى من يسيرون بالامور في طريق رتيب لا تهزه روعة المفاجأة او تحيد به نشوز الخيال ، فمسرحية عريس من السماء تعتمد في اصالتها القوية على المفارقة النادرة حين تطرد الامور في خاطر القارىء على نحو يحتم ان تكون ((دولت)) عروس الغد ، فتنسج احلامها الزاهية سعيدة وضيئة وتجول بخيالها الحالم مع فارس امالها المنتظر ، بينما تقبع نادية في ظلام نفسي دامس تتجرع يأسها المرير تجرعا ينذر بالترق ويقذف بالغصة خلف الغصة .. وتسير الامور في هذا الطريق حتى تأتي المفارقة فتصبح السعيدة الحالمة بائسة شاكية ، وتصير نادية عروس المنصة وذات الحظوة المشتهاة .. كل ذلك من واقع الحياة الصادق ، وكم في الارض من مفارقات ذات غرائب واعاجيب . ولا ينبغي ان نغفل عن حقيقة هامة هي ان اكثر كتاب المسرحية يفتعلون المفارقة فتأتي اثارهم باهتة شوهاء اما مفارقات هذه المجموعة فهي مفارقة الواقع الصادق الذي تظهره الحياة في كل زمان ومكان ، ومن هنا كانت موضع التقدير . واذكر ان هذه المسرحية بالذات

قدمها البرنامج العام لاذاعة القاهرة فكان لها صداها البعيد .

وتلتقي مسرحية حرم المليونير مع مسرحية عريس من السماء في روعة المفارقة وبراعة المشاهد وحلاوة الحوار ولكنها فوق ذلك تصور مآسي انسانية صارخة ، حين تعرض عليك ما تعانيه الزوجة المثقفة الرقيقة حين تصطدم بزوج غليظ ، لا مؤهل لديه من ذكاء عقلي اوتحليق نفسي او اتزان خلقي . وكل ما يعتمد عليه ثروة متوقعة ، ينتظر بها موت والده على شوق كبير ، وهو من ضيق افقه في غرور قاتل يعكس امامه واقع الحياة رأسا على عقب ،ثم يرميه الى هوة الانحلال فيستهتر ويعبث ويسرق ويدلس ! كل ذلك بمرأى من زوجته المثالية وبسمع !! ثم تأتي المفارقة البديعة حين يبصر هذا العابث نفسه فيجد انه فقير معدم بعد موت ابيه اذ كتب جميع امواله لزوجته الجديدة وولده الصغير ! لقد اقدمت على تلخيص هذه المسرحية في سطور وانا اعتقد ان تلخيص العمل الفني يشوهه ويهوي به ! ولكني من ناحية اخرى اقدم هيكلا للقارىء ليتصور ما استطاع الاستاذ فوزي ان يجري به من دفقات الدم وان يكسوه من جمال اللون ووضوح الملامح ويهبه من نشاط الحياة ، وقوة الحركة ما يجعله واقعا ملموسا يراه الناظر بارتياح واعجاب ..

اما مسرحية بنت العم فقد كانت مسك الختام في هذه المجموعة الممتازة . وبها سمي الكتاب ولن اشير اليها بشيء لاترك للقارىء شوقه كاملا اليها ! وحسبي ان اشير الى انها كسابقتها قد قدمت في البرنامج الاذاعي بالقاهرة منذ سنوات ، ونالت تقدير الكاتبين والمعلقين.

وانا اعرف ان للاستاذ الميلادي قصصا ومسرحيات مخطوطة كثيرة . وقد طبع له عدة مجموعات مثل زيزي هانم والزوجة الاخيرة ولعله يعمل على اسعادنا بطبع ما لديه قصة ونقدا ، فقراؤه الكثيرون يترقبونه على شوق واحتفاء .

الفيوم — **محمد رجب البيومي**

●

التيارات المعاصرة في النقد الادبي

دراسة ادبية – تأليف الدكتور بدوي طبانة – ٤٤٨ صفحة – من القطع الكبير – مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

من اهم ما تمتاز به نهضتنا الفكرية المعاصرة ظهور كتب « اصول » لها طابع الشمول والاتساع والدراسة المستوعبة ، كان طابع المؤلفات في فترة الثلاثينات والاربعينات مقالات مجمعة ربما تحمل طابع النقد والعرض ولكن ينقصها الشمول والاستيعاب .

اما الدراسات الجديدة التي تمثل طابع مرحلتنا الفكرية في الستينات فهي العمل الكبير الواعي . ومن ابرز الامثلة على هذا اللون من الدراسة كتاب الدكتور بدوي طبانة الذي صدر هذه الايام باسم « التيارات المعاصرة في النقد الادبي » .

ففي اكثر من ٤٤٠ صفحة من القطع الكبير استطاع هذا الكاتب النابه ان يلم الماما شاملا وافيا بتطور النقد في الادب العربي المعاصر ، معنيا بمصر على وجه الخصوص ، مستعرضا في دراسة علمية هادئة مدعمة بالادلة والاسانيد والوثائق ، هذه الحركة الضخمة في محاولة للاجابة عن سؤال ما زال يشغل الباحثين من مؤرخي الادب ودارسي تطور النقد . وهو : « هل استطاع النقد المعاصر ان يؤدي رسالته في التقدير الصحيح للاعمال الادبية التي تعرض لها ووضعها في موضعها الصحيح بين آيات الفن الادبي . وهل استطاع ان يحقق غايته الكبرى في توجيه الادب نحو اهدافه المثلى التي ينشدها وان يكون معينا حقا لجمهرة الأدباء ، يرسم لهم خير السبل لتحقيق غايتهم في الفن ؟

وجملة قوله في الاجابة على هذا السؤال هو : انه رغم ان نقادنا قالوا كلمة الحق فاشادوا بما يستحق الاشادة وزيفوا الضعف والتردي في كثير من الوان الادب ، ورسموا بنقدهم المنهاج الواضح لمن يريدون الافادة والتوجيه ، الا انه يبدو ان الهوى لا يزال طاغيا على الكثرة الكثيرة منهم ، بل ربما زاد طغيانه في هذا الزمن الذي يدعو كل شيء فيه الى التشبث باذيال الموضوعية ، وربما كانت ذاتية المعاصرين اشد ضراوة من ذاتية القدماء ، فكان ثناء وثناء ولكن ثناء على الاسماء لا على الاعمال ، وكان قدح وانكار ولكنه ينصب على الاشخاص اكثر مما يصيب الآثار النقدية على كثرتها وتنوع مؤلفيها لا تصلح ان تكون اصلا ثابتا المستولي على البشر في تمجيد ما لا يستحق تمجيدا . وما ليس صاحبه في حاجة الى التمجيد ، وانما هو ضرب من الملق الرخيص ، كما تراه في انتقاص ما لا يوجب الانتقاص ، وما قد يكون صاحبه في أمس الحاجة الى التشجيع وفتح الطريق امام بواكيره التي تبشر بمستقبل زاهر وحياة فنية خصبة .

وقد عرض الدكتور بدوي طبانة لمعوقات النقد فاشار الى ان تلك الآثار النقدية على كثرتها وتنوع مؤلفيها لا تصلح ان تكون اصلا ثابتا يرجع اليه في نقد الادب المعاصر او سواه ، لانها اثار متباينة يتجه كل منها اتجاها خاصا ، وينظر الى الاعمال الادبية من زاوية خاصة . والسبب في ذلك ان الادباء انفسهم قد تباعدت اتجاهاتهم وتباينت مناهجهم ، واختلفت مبادئهم ومثلهم ، وعنده انه لم تقم عندنا مدارس ذات مناهج او تعاليم ادبية متكاملة ، فلم يستطع هذا العصر ان ينتج معالم موحدة او تقاليد متشابهة في ادب مجموعات من الادباء ، ومن عوامل اضطراب النقد التحزب والتكتل حول بعض اعلام الادب للاحتماء بهم ، والتعلق باسبابهم للظفر ببعض الاغراض المادية والمنافع المعنوية ، حتى تعددت في حياتنا الادبية الجماعات التي تقوى صفوفها وتقف في وجه جماعات اخرى تنافسها على السيادة ، وقد تناصبها العداوة ، فهو في الحقيقة تجمع لاقتسام الاسلاب وتوزيع الغنائم خشية ان تظفر بها جماعة مناوئة .

ويرى الدكتور طبانة ان اغلب النقاد غلبت عليهم الثقافة الاجنبية وان هذا الفريق لا يستحسن من الادب الا ما اثر عن الاجانب الذين عرف ادبهم . واحس بما ركب فيهمن نقص ان لا ادب الا ادبهم فهو مثله الاعلى الذي يقيس عليه كل ادب ولذلك وقف على ما عند الاجانب من اصول النقد ومناهج الادب ، فلا يعرف غيرها وتراه يحاول ما استطاع ان يغض من تلك المقاييس العربية التي لا يعرف عنها قليلا ، ولا كثيرا ، محاولاتحكيم مقاييس غريبة في الادب الذي الفه ادباء عرب ، عاشوا على ارض العروبة واستظلوا بسمائها .

وعنده ان هذا الفريق من النقاد الذين هام بكل ما هو اجنبي، يحاول تحكيم الاراء النقدية العتيقة التي خلفها ارسطو ، ويحاول ان يوازن بين الادب العربي والادب اليوناني موازنة تنتهي الى الحكم بتفضيل الاخر على الاول ، وهذا يبين مدى تطرف هذا الفرق في اتجاههم نحو تقديس اراء اولئك النقاد على الرغم من تباينها عنده .

وعنده ان هذه الطبقة اليوم من النقاد هي اعلاها صوتا ، وذلك بسبب عاملين : اولهما تكاتف افراد هذه الطبقة وتكتلهم لصد التيار المدافع الذي تمثله الطبقة الاولى ومحاولة تنحية اصحابها عن الحياة الادبية وعن المشاركة في اي لون من الوان النشاط العام في درس الادب ونقده وذلك ليضمنوا لانفسهم السيادة في هذا المجال ،وما قد تجر من مغانم ادبية وغير ادبية ، وتتمثل المغانم الادبية في الترويج لبضاعتهم ، وكسب الشهرة وذيوع الصيت في البيئات الفنية وغيرها ، فهم اعضاء المحافل واصحاب الادوات وهم المحكمون في المسابقات الادبية ، وقد غرهم ذلك حتى اصبحوا يتكلمون في كل شيء يدخل في دائرة تخصصهم في فن الشعر وفن الكتابة وفن القصة .

كما يتكلمون ويكتبون في جراة غريبة في شؤون السياسة والاقتصاد والاجتماع . وغير ذلك مما لم يخلقوا له ولم يعدوا انفسهم لدراسته وعلاجه ...

ولم يعد امر هذا الانحراف في النقد غريبا فقد اشار اليه كل باحث منصف وقد عرضت له الشاعرة نازك الملائكة حين قالت ان الناقد العربي اليوم يقف وقفة الخشوع والتقديس امام النقد الاوربي ونظرياته الوافدة ، وكان ذلك النقد نموذج في الابداع والعبقرية لا يمكن ان يصله الفكر العربي الا بالتقليد والاقتباس والنقل ، وفي غمرة هذه العقيدة الواهمة اغلق الناقد العربي الباب على منابع الفكر الخصوبة والموهبة في ذهنه ، ونسي هؤلاء ان النقد الاوربي ينحدر من تاريخ منعزل انعزالا تاما عن تاريخنا وكيف يتاح لنا ان نطبق اسس ذلك النقد الاجنبي على شعرنا الذي يتدفق من قلوب غير تلك القلوب وعصور غير تلك العصور .

واشار الدكتور بدوي ان لادابنا العربية شخصيتها المستقلة ، وان النقد الذي يصلح لشعرنا يختلف بالضرورة عن النقد الاوربي .

وان نقادنا ما يكادون يقرأون اليوت ورتشاردز وبرادلي وفاليري حتى يحاولون ان يطبقوا ما يقولون على الشعر العربي مهما كلفهم ذلك من تصنع وتعسف وجور .

واشار الى ان الآداب الاوروبية ثروة ضافية اذا واجهناها مختارين ولكنها تكون من سقط المتاع اذا نقلناها وانصنعنا لها .

ومن أهم ما عرض له الدكتور بدوي طبانة من مقاتل النقد المعاصر « طابع الذاتية » : وعنده ان السر في اخفاق النقد الادبي الحديث في تحقيق غايته والوصول الى اهدافه هوصبغه بالذاتية واتخاذ النقاد اياه اداة لاشباع شهواتهم في النيل من خصومهم من الادباء الذين لم يستطيعوا ان يبلغوا مبلغهم من القوة او القدرة على الابداع او يحققوا ما حققوه من اسباب الشهرة وذيوع الصيت .

وكان ذلك سببا من الاسباب التي حركت اطماع منافسيهم الى الظفر بمثل ما ظفروا به من العناية وبعد الصيت في الحياة العامة فلم يجدوا من الوسائل ليحقق مآربهم سوى تصويب سهام النقد نحو خصومهم ليسقطوهم من عليائهم ويحلوا منازلهم بدافع الحسد او الطموح . كما اتخذ النقد سلاحا للنيل من الخصوم والتشهير بهم والحط من اقدارهم اتخذ وسيلة للتنويه والاشادة بالانصار والاولياء ومن ثم تخلى النقد عن منهجه في التقويم والتمييز .

واشار الدكتور بدوي الى ما كان من أثر للصحافة في النقد وهو دور مشهود « هوى بالنقد واساليبه الى الحضيض » فالصحافة هي التي اذكت اوار المعركةواشعلت نار العداوة واثارت الاحقاد بين الادباء ، وهبطت باقلامهم وفنيتهم ذلك الهبوط الذي شهدته الحياة الادبية مما قل ان نجد له نظيرا في حياة الادب والنقد .

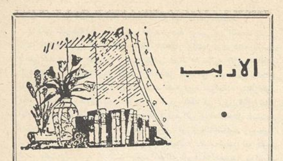
كما عرض « للسياسة الحزبية » ودورها في اشعال هذه الفتنة واذكاء نارها فقد كانت لا تتورع ان تتذرعالى غاياتها من الحط من شان الخصوم وزعماء الاحزاب المناوئة باحط وسائل السباب ووجدت من بعض الادباء واقلامهم خير معين على تحقيق هذه الغاية ..

وهكذا كشف الدكتور بدوي طبانه في صراحة ووضوح عن « أزمة » النقد المعاصر ثم واصل في افاضة وعمق تصوير اتجاهات النقد المعاصر ونقد الاغراض الادبية ، وتحدث عن لغة الادب وصورة الادب ونقدالمعاني الادبية والم الماما واسعا شاملا بكل ما صدر من آثار ومؤلفات في مجال النقد الادبي على نحو لم يسبق اليه من ناحيتي الشمول والعرض الفني .

ولم يكن الدكتور بدوي جديدا على الميدان وهو الذي عني بدراسات النقد الادبي منذ شبابه الباكر ، حين بدأ كتاباته في الادب والنقد والشعر في صحف البلاغ والاهرام والدستور ومجلة ابولو والنهضة الفكرية منذ عام ١٩٣١ .

غير انه منذ عشر سنوات كتب مؤلفه الاول في هذا المجال (دراسات

الاديب



●

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Direc. : 223819 Tél. :
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle. : 225139

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

في نقد الأدب العربي) مقدمة لاتجاه ظل يقوي ويعمق حتى أوفى على غايته في كتابه الاول هذا الذي نقدمه اليوم.

وقد عني بالنقد الادبي منذ مطالع الادب العربي القديم حيث تناول اشهر النقاد ومناهجهم وآثارهم من الجاهليين الى اليوم وفي خلال ذلك تناول بالدرس شخصيتين من ابرز شخصيات النقد الادبي هما : ابو هلال العسكري وقدامه بن جعفر .

وللدكتور بدوي جهود ضخمة في ميدان الادب من ابرزها مؤلفاته : البيان العربي والسرقات الادبية . ومعلقات العرب . وعلم البيان . والمثل السائر في درب الكاتب والشاعر ومقدمة في التصوف الاسلامي.

وفي خلال اقامته في العراق خلال ست سنوات اتيح له ان يكتب دراسة ادبية عن معروف الرصافي (شاعر العراق) وبيئته السياسية والاجتماعية ، كما الف كتابه : « ادب المراة العراقية » حيث تناول بالدرس الادب النسوي والتعريف بشواعر العراق .

والدكتور طبانه باحث يتميز بالصدق والصراحة والوضوح وقد أجمع النقاد على أنه يستعرض شخصياته في اصالة ويقول ما لها وما عليها .

وقد أحس منذ مطالع شبابه بالايمان الصادق بالعروبة واللغةوالعقيدة

ولا غرو فان دار العلوم هي «مدرسة فكرية» لها طابعها وسمتها وقد عاش خريجوها مجاهدين في سبيل المثل العليا والقيم ، وكانوا وسطا بين جمود المدارس القديمة وبين اندفاع المفكرين المتأثرين بالغرب ، وقد ولد عام ١٩١٣ ببلدة الشهداء منوفيه ، وأحس منذ مطالع دراساته بالرغبة في التعبير عن النفس فقال الشعر ونشر منه قصائد متعددة في ابولو والنهضة الفكرية ثم اتجه الى النثر فكتب في مطالع كتاباته: (الشعر القصصي ونصيب العرب فيه) وذلك حوالي ١٩٣٢ في البلاغ.

ثم تحقق له أن يعمل في ميدان التدريس عام ١٩٣٨ وان يتولى التدريس في معهد المعلمين بالعراق بين عامي (١٩٤١ - ١٩٤٧) وكانت له انطباعات عربية في خلال اقامته بالعراق عمقت مفاهيمه في العروبة والقومية والوحدة واتيح له أن يكتب دراسة مخلصة صادقة عن « الرصافي » هدد بشأنها هناك من الحكومات البائدة ، فقد كان الرصافي خصما للقصر العراقي ومحاربا لحكومة نوري السعيد . وكان الدكتور طبانه باحثا مخلصا فقال فيه كلمة الحق التي عجز كثيرون عن قولها منصفا لهذا الرجل وقد دارت بينه وبين بعض كتاب العراق مساجلات في هذا الصدد .

وليس كتاب (التيارات المعاصرة في النقد الادبي) هو اخر انتاج هذا الباحث النابه ، بل له مؤلفات اخرى ما تزال تحت الطبع في مقدمتها (معجم البلاغة العربية) ودراسة عن الصاحب بن عباد .

وليست دراساته هذه بالدراسات الخاصة او المتصلة بعمله في دار العلوم ، بل هي على مستوى الدراسات العامة الشاملة ذات الاثر الكبير في مجال الفكر ، ولا اعتقد ان باحثا يكتب في النقد الادبي يستطيع ان يتجاهل او يستغني عن كتابه الذي نحن بصدده (التيارات المعاصرة) .

وهو في جملته خطوة في الطريق الذي تجري فيه النهضة الفكرية المعاصرة من العمل للموسوعات والابحاث الكبرى التي تسم بالشمول والدراسة المستوعبة الجادة .

القاهرة **انور الجندي**

•

قانون الاجراءات الجنائية

تأليف الدكتور محمود محمود مصطفى الاستاذ بكلية الحقوق جامعة القاهرة – الطبعة الثالثة ٥٩٦ صفحة – دار ومطابع الشعب بالقاهرة

في الذاكرة وانا اكتب هذه الكلمات ، جملة مؤلفات في شرح قانون الاجراءات الجنائية (١) رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠ وما ادخل عليه من تعديلات . وقد تصديت لهذا الكتاب ، لانني قد درسته وانا طالب بقسم الليسانس بكلية الحقوق . اذا فهو كتاب مقرر على الطلبة، أي انه كتاب موجه وانا اعتبر من يتناول بالنقد او العرض مثل هذه المؤلفات انما يقوم بعمل طيب . وبالنقد تكتمل للكتاب اصالته في التوجيه ، ويظهر ما غاب من ملامحه عن قارئه .

ومؤلف الكتاب هو الدكتور محمود محمود مصطفى العميد الاسبق لكلية الحقوق جامعة القاهرة واستاذ قانون العقوبات وقانون الاجراءات الجنائية بها .

وفيما يلي ما بدا لي من خواطر اثناء قراءة الكتاب :

١) اول سمات هذا الكتاب انه انتاج عمل وليس انتاج هواية . وبالتالي فهو انتاج له اهمية عملية في حياة المؤلف. وانا اقصد بالهواية التي يمارسها المرء خارج نشاطه الاساسي ، وليست الهواية المرتبطة بالعمل . ومن امثلة الهواية التي يمارسها المرء خارج نشاطه الاساسي مشاهدة المباريات ، وارتياد المسرح ، ولعب الجولف . ومثل الهواية المرتبطة بالعمل متابعة رجل العلم للابحاث في فرع العلم الذي تخصص فيه في حرارة وعمق (٢)

ثاني سمات هذا الكتاب انه احتفل باحكام محكمة النقض وهي هيئة عليا تشرف على تطبيق القانون وتفسيره . وبذلك اكتمل للنص القانوني المشروح ملامحه عند التطبيق ، وهي ملامح اصلية لان احكام النقض بنت الخبرة الواسعة والثقافة العميقة ، وهي ملامح ثابتة لان احكام النقض تتضمن مبادىء قانونية مستقرة ، وقد احاط المشرع هذا الاستقرار بضمانات تشريعية . فنص على انه « لا يجوز لمحكمة الموضوع في جميع الاحوال ان تحكم بعكس ما قررته الهيئة العامة للمواد الجزائية بمحكمة النقض » (٣) . ونص المشرع ايضا على انه لا يكفي لقضاء النقض ممثلا في احد دوائره العدول عن مبدأ قانوني قررته احكام سابقة ، بل يلزم على الدائرة ان تحيل الدعوى التي تنظرها الى دوائر المحكمة مجتمعة للفصل فيها(٤)

٢) يعلق القانون رفع الدعوى الجنائية تارة على شكوى من المجني عليه ، وتارة على طلب ، وتارة على صدور اذن . ومن احوال تقييد

---

(١) قسم المؤلف الموضوع الى عدة كتب مسبوقة بمقدمة تناول فيها جملة موضوعات منها نظرية البطلان ، وتطبيق قانون الاجراءات بأثر مباشر ، وعلاقة قانون الاجراءات بقانون المرافعات وتناول في الكتاب الاول الدعوى الجنائية والدعوى المدنية فتحدث عن من له الحق في رفع الدعوى الجنائية ، وفي المدعى عليه في الدعوى الجنائية ، وفي اسباب انقضاء الدعوى الجنائية . وبالنسبة للدعوى المدنية تناول عناصرها ، وكيفية مباشرتها امام المحكمة الجنائية وامام المحكمة المدنية. وتناول في الكتاب الثاني الاطوار التي تمر بها التهمة ، فتحدث عن الضبطية القضائية ، وفي التحقيق الابتدائي ، وفي الاختصاص والتنظيم القضائي وتشكيل المحاكم وفي التحقيق النهائي. وتناول في الكتاب الثالث طرق الطعن في الاحكام (المعارضة والاستئناف والنقض واعادة النظر) . (٢) يراجع كتاب الطريق الى السعادة . تاليف برتراند راسل وترجمة عادل سلامة الفصل الخامس عشر الخاص بالهوايات الخارجية.
(٣) يراجع القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٥٦ المادة ٤٤ فقرة ٢ . (٤) تراجع المادة ٤/٢ من قانون نظام القضاء . وكتاب قواعد اختصاص المحاكم المدنية في القانون المصري تاليف الدكتور جميل الشرقاوي ص.٤ الفصل الخاص بترتيب المحاكم المدنية وتشكيلها . (٥) نقض ١٢ ابريل ١٩٥٥ مجموعة احكام النقض س٦ رقم ٢٦٠ص ٨٥١. (٦)م ١١٤ من قانون الاجراءات الجنائية .

النيابة بالحصول على اذن الجرائم التي يتهم فيها اعضاء البرلمان والجنايات والجنح التي تنسب الى القضاة .

وقد ورد في الفقرة ٧٧ ص ٩٤ في الفرع الخاص بتوقف رفع الدعوى على اذن ان عضو البرلمان يحاكم متى رفعت حصانته امام المحكمة المختصة من حيث النوع والمكان . هذه العبارة وردت في غير موضعها الطبيعي . فقد وردت تحت عنوان الجرائم التي تقع من القضاة بينما يجب ان تكتب تحت عنوان الحصانة البرلمانية .

٣) ورد في التحقيق النهائي (المحاكمة) فقرة ٣٣٨ ان محكمة النقض قضت بانه لا يلزم ان يوقع المتهم على الاعتراف الصادر منه والمثبت بمحضر التحقيق ، ما دام المحضر موقعا عليه من المحقق والكاتب .

ورايي انه يلزم توقيع المتهم الى جانب توقيع كل من المحقق والكاتب اسوة بالشهادة حيث يلزم توقيع المحقق والكاتب والشاهد (٦) وفي مقال المقارنة بين الشهادة والاعتراف تبدو اهمية الاعتراف وخطره فالشاهد اذا كان شاهد اثبات فهو يلصق التهمة بغيره ، واذا كان شاهد نفي فهو يدفع التهمة عن غيره . اما الاعتراف فهو ان يقر الفرد على نفسه بارتكابه فعلا معينا .فاذا كنا نستلزم توقيع الشاهد كضمان لصحة اقواله فكيف لا نستلزم توقيع المتهم المعترف كضمان لصحة اقواله هو ايضا .

٤) واخيرا فقد ورد على غلاف الكتاب ان المؤلف هو استاذ قانون العقوبات والاجراءات الجنائية . وقارىء هذه العبارة اذا لم يكن من دارسي القانون يفهم منه انهما قانونان واحدا ، بينما الصحيح انهما قانونان وكل منهما له ذاتيته المستقلة وبالتالي يلزم استبدال العبارة السالفة بالعبارة الاتية (استاذ قانوني العقوبات والاجراءات الجنائية) او استاذ قانون العقوبات وقانون الاجراءات الجنائية . وقد رأيت الاشارة الى هذا الخطأ لانه ذهني وليس مطبعي . فقد ورد في الطبعات السادسة والسابعة والثامنة على التوالي.

القاهرة

احمد شفيق حلمي
باحث قانوني
بمؤسسة تعمير الصحاري

●

محمود تيمور وفن الاقصوصة العربية

تاليف فتحي الابياري — ٢٠٨ صفحة — الدار المصرية للطباعة والنشر بالاسكندرية

انه لحري بفن الاستاذ محمود تيمور ان يثير فضول النقاد وان ينشطوا الى بحثه وتحليله لان فن تيمور هو الفن الاصيل الخالص في القصص العربي. وقد نشط تيمور لمعالجته منذ مطالع صباه حتى اليوم فالف من القصص الطويل والقصير عددا وفيرا وله فيما اعلم اقصوصة واحدة متوسطة من النوع المعروف عند الافرنج باسم « نوفيل » وعنوانها « الاطلال » اذا لم تخني الذاكرة . وهي قصة ذات دلالة على ادب الاستاذ تيمور من حيث وصفهنشوء العاطفة في نفس فتى ارستقراطي التربية ، ومن حيث اعتماده على نظرية فرويد عن العقل الباطن في تطوير حوادثها .

وقد اقبل النقاد فعلا على دراسة فن الاستاذ محمود تيمور القصصي منذ سنين وظفرت المكتبة العربية بكتاب « محمود تيمور رائد القصة العربية » للاستاذ نزيه الحكيم ، و « قصة محمود تيمور » للاستاذ انور الجندي ، و «محمودتيمور الاديب الانسان » بقلمالاستاذ صلاح الدين ابو سالم . وصدر اخيرا كتاب « محمود تيمور وفن الاقصوصة العربية » للاستاذ فتحي الابياري ، هذا فضلا عن الفصول العديدة التي ظهرت في مختلف الصحف والمجلات لدراسة كتب تيمور عند ظهورها . وقد اكتفيت بما كتب بالعربية ولم اشر الى ما كتب عنه في مختلف اللغات الاخرى بعد ان نقلت قصصه اليها .

واذا كان كتاب « محمود تيمور وفن الاقصوصة العربية » احدث الكتب التي ظهرت عن محمود تيمور فانها ليس اقلها شانا ولا اضيقها مادة . وقد نحا فيها المؤلف الاستاذ فتحي الابياري منحى خاصا غير الذي قصد اليه الكتاب الذين تقدموه في معالجة هذا الموضوع وان كان قد التقى بهم في العديد من التفصلات والاحكام .

استهل الاستاذ الابياري كتابه بفصل طويل عن « القصة والادب العربي » عالج فيه كيفية نشوء القصة من الحكايات الخيالية والاوهام الشائعة وتطورت حتى استوت في شكل ملاحم — وهو النوع الاول من القصص — ثمظهرت القصص النثرية ثم انتقل الى القصص العربي ولخص ما قاله الاستاذ تيمور فيها في كتابه « الادب الهادف » وتنقل بين العصر الجاهلي والنهضة الحديثة بعد ان اتصل الشرق بالغرب . وكانت القصة في الغرب نفسه خاضعة لتاثير تطور المدنية وانتفاع هذا الفن بالاكتشافاتالعلمية وقد انسرحت اداب الغرب على الشرق العربي حين اخذ بنهضته الحديثة ، واصبحت الصحف العربية حلقة الاتصال تنقل الى قرائها انباء الغرب الادبية وافكاره في الادب بعد تلخيصها الاراء السياسية والنظريات التي انتشرت في الغرب عن الحكم ونظمه وانواعه ، مما ادى الى انتشار تقليد الافرنج بين العرب وقيام بعض المصلحينبتوجيه النقد المرير الى هذا التقليد . ويستمر الاستاذ الابياري في بحثه فيذكر كيف انشئت مدرسة الالسن سنة ١٨٣١ وكيف عني رفاعه الطهطاوي بالترجمة ، وكذلكفعل محمد عثمان جلال وانتقل فجاة الى المنفلوطي وما ترجمه عن الفرنسية واثر بواسطته في بعض النفوس. ولعله كان من الخير ان يشير المؤلف الى ان اطلاق كلمة « ترجمة » على ما كتبه المنفلوطيهي تجاوز كبير . وقد اشار الى انه لخص اكثر مما عرب حرفيا . ولكنه اغفل ان المنفلوطي كان يجهل اللغة الفرنسية تماما وانه كان يكتب مايترجم له . ولذلك لم يكن اختياره للكتب التي صاغ ما نقل له منها« اختيارا ذاتيا » بل كان مقيدا بشخصية صاحبه الذي دله الى تلك الكتب .

ولست اذكر ما ذكرته للحط من قدر المنفلوطي فقد كان المنفلوطي اديبا كبيرا وكاتبا كبيرا مشرق العبارة . ولعل اسلوبه الجميل ساعد على ذيوع كتبه بين القراء اكثر مما ساعدت مادة هذه الكتب .

ولا ينكر احد مكانته بين ابناء عصره والجيل الذي تلاه ، وانكانت « النظرات » و « العبرات » قد اصبحت اليوم منسية . ولكنه كان حريا بالاستاذ الابياري ، وهوالناقدالمدقق — كما نعرف عنه وكما يظهر من كتابه —ان يوسع نطاق بحثه في ترجمة القصص قبل الحرب العالمية الاولى ، والا يكتفي بذكر المنفلوطي وحافظ ، وهما على مقامهما في عالم الادب الوحيدان اللذان لم يترجما ترجمة صحيحة لجهلهما اللغة التي كانا ينقلان عنها .

وينتقل الاستاذ الابياري الى عصر النهضة فنجده يجعل حركة ترجمة القصص الغربي بالجملة ترجمة سريعة تجارية في الطور بين الحربين العالميتين ، في حين اننا نعرف مثلا ان روكامبول وقصص دوماس وغيرها نقلت في مصر وطبعت فيها ، ونعرف ان نقولا رزق الله كان يصدر مجلة قصصية باسم « الروايات الجديدة » . وذلك قبل الحرب العالمية الاولى وكذلك عندما يذكر المجلات التي اثرت في الشباب بعد الحرب العالميةالاولى يغفل « السياسة الاسبوعية » التي تقدمت المجلات التي ذكرها وكانت في طليعتها .

وقد احسن الاستاذ الابياري الحكم حين ذكر ان القصة المصرية الحديثة عند نشأتها مرت بمهدين عهد « حديث عيسى بن هشام » الذي تميز بمعالجة مشاكل عصره الاجتماعية وغير الاجتماعية على طريقة قديمة ثم عهد « محاكاة الغرب » كما فعل محمد حسين هيكل في قصة « زينب » .وفي هذا العهد ظهر محمد تيمور الذي جمع بين الثقافة القومية والثقافة الفرنسية واخذيدعو الى انشاء « ادب مصري مبتكر يستملي وحيه من دخيلة نفوس المصريين وصميم البيئة » ووجد الاقصوصة احسن السبل لتحقيق دعوته وكتب اقاصيص جمعت فيما بعد في كتاب بعنوان « ما تراه العيون » ولكن الشعلة التي حملهـا محمد تيمور سقطت من يده مبكرةاذتوفي الى رحمة ربه في عنفوان شبابه ، وفي الوقت الذي كان يرجى منهفيه الخير الكثيرللادب العربي المعاصر . ولكن تلك الشعلة لم يخفت لهيبها بل التقطها شقيقه محمود تيمور فرفعها عالية واستطاع ان يصل بذلك اللهب الى جميع البلاد العربية وان يحرر فن الاقصوصة من تقليد الغرب ، وان يجعلها محلية بحتة وان يركز فنها على اسس متينة.

ثم يسترسل الاستاذ الابياري فيحديثه عن محمود تيمور فيعرفنا به في اسرته ونشأته وابتداء معالجته القصة ومطالعاته ويسرد العوامل التي دفعتبه الى الاشتغال بالادب ومعاناة فن القصة ، ويبين العوامل التي تفاعلت في نفسه حتى جعلت منه الاديب الكبير الذي نقدره ، ورائد فن القصة الذي نعجب به .

وقد استقى تيمور الهامه من مختلف المصادر ، من الاسطورةالمصرية، ومن الريف ، ومن عامة الشعب ، ومن الاوساط التي رآها تعيشوتتحرك. وقد وصفه مرة الدكتور زكي مبارك كيف يسير في شوارع القاهرة ساهم العين مشرد النظر في حين لا تفوته بادرة او اشارة مما حـوله. اما الاستاذ الابياري فقد راح يبحث عن مصادر الالهام بحث النـقادة المدقق في الاساطير المصرية ثم انتقل الى المصادر الحديثة فقال ان عالم الاساطير الذي استحوذ على قلب تيمور فترة من الزمن لم يجتذبه الى القاع فقد استيقظ من تلك الاحلام لتقع عيناه على شيء جديد ولست ادري مدى مطابقة هذا للواقع فليست الاساطير المصرية هي التي جعلت منتيمور القاص الكبير الذي نعرفه، بل ان القاص الكبير الذي كان قد تكون وانتج هو الذي استفاد فيما بعد من الاساطير التي قرأ عنها ، كما استفاد من مرئياته وتجاربه في عصره .

ويتناول الاستاذ الابياري اقاصيص تيمور على ضوء بعض المذاهب الادبية كالواقعية والرومانسية ، ثم ينتهي من بحثه الى ان تيمور لم يتبع مذهبا معينا من المذاهب الادبية الشائعة في كتابة اقاصيصه . ثم اخذ المؤلف يعرفنا بفن تيمور ويحاول ان يبين تطور فن القصة عند تيمور حتى وصل الى هذا التمام في الفن الذي نشهده فيقصصه. واستعان على ذلك ببعض القصص التي تبين كيف بدأ تيمور معالجة الفن قلقا مضطربا ثم صار فيه الى ابعد حد من التفوق ولعلنا كنانرغب من الاستاذ المؤلف القدير ان ياخذ احدى الاقاصيص التي اعاد تيمور كتابتها اكثر من مرة فيدرسها في مختلف اشكالها لتتبين تطور الفن على قلم تيمور . وكذلككنا نود ان يفصل في الاسلوب وتمشيه من التلكؤ الذي ظهر في كتاباته الاولى الى هذا الاشراف الذي نشهده اليوم فنطرب له ونمحضه خالص الاعجاب .

وتمشيا مع هذه الفكرة كنت اود لو ان ثبت مؤلفات تيمور في آخر الكتاب كان اوفى مما هو عليه وخاليا من شكل الاعلان الذيانسرح عليها . فالباحث يود ان يعرف جميع كتب تيمور ومختلف طبعاتها وتاريخ صدورها ليستطيع ان يعود اليها اذا ما شاء استكمال البحث في تطور التاليف القصصي عند تيمور .

ولكن هذه الملاحظة وما تقدمها من ملاحظات ليست في حقيقتها انتقادات بالمعنى المعروف لهذه العبارة ولكنها خطرات مرت بذهن قارىء متزمت مثلي يود ان يبلغ انتاجنا الادبي اقصى حد من الكمال .

ولعل القارىء تبين من خلال ما تقدم اعجابي بكتاب « محمود تيمور وفن الاقصوصة العربية » وتقديري للعناء الذي تكلفه مؤلفه الاستاذ فتحي الابياري في تاليفه . والاستاذ الابياري من ادباء الاسكندرية الشباب ومن نقادنا النابهين ، ويعتبر هذا الكتاب باكورة مؤلفاته ، وهو الجزء الاول من مؤلف يقع في ثلاثة اجزاء عن تيمور وسيخص الجزء الثاني بفن القصة والمسرحية عند تيمور والجزء الثالث بالابحاث والمقالات . فنرجو له ان يصادف في الجزئين الاخيرين نفس التوفيق الذي لقيه في الاول وان يفوز بنفس الثناء الذي نزفه له بمناسبة هذا الكتاب وهو به حري .

الاسكندرية — **صديق شيبوب**

•

هجير وسراب

مجموعة شعرية ـ احمد محمد الخليفة ـ صفحة ؟ ـ مطبعة ؟

انا حريص على ان اتابع بشغف واهتمام كل ما يصدر عن بلاد الخليج العربي من انتاج ادبي وفكري ، لانه حلقات متممة لسلسلة النهضة الفكرية المعاصرة في البلاد العربية.

واذا ارقب بعين المحبة ما يصدر عن ادباء البحرين منذ امد بعيد، منذ قرأت اشعار العريض وابحاثه الادبية القيمة فيالشعر المعاصر ، ومنذ شاركتفي المجلة العزيزة المحتجبة « صوت البحرين ».

والصديق الكريم الاستاذ ابراهيم حسن كماللا يفوته ان يشبع شوقي الى الاطلاع على هذا النتاج تباعا ، فهو يمدني في الفينة بعد الفينة بما يصدر من جديد عن هذه البقعة العزيزة منالوطن العربي.

وفي الايام الاخيرة تفضل باهدائي ديوان الشاعر احمد محمد الخليفة المسمى « هجير وسراب » وباستيعاب وشوق قرات ديوان الشاعر . فماذا وجدت فيه ؟

ان اهتمامات الشاعر ـ كاهتمامات كل الشعراء ـ تدور حول نفسه اولا ، وحول مجتمعه ثانيا . فاذا بحثنا عن ذاتية الشاعر ،وتساءلنا كيف عبر عنها ، رأينا عديدا من القصائد تتحدث عنالشاعر نفسه بطريقة مباشرة .

فافتتاحية الديوان ، ومقطوعته الاولى « انا » وقصيدته الثانية « انا والشعر » وقصيدة اخرى في الجزء الاخير من الديوان بعنوان « اللحن الاخير » ـ كلها حديث مباشر يعرف الشاعر الى القارىء ، ويكون الخطوط المجملة لصورة الشاعر كما يرى نفسه .

فهو تواق الى الحرية ، معتز بنفسه ، وبقومه ، وهو شاعر شفه الحب ، لكنه متشائم ، متبرم بالحياة والناس . وهذا التشاؤم منشأنه أن يصل بالفنان الى احدى اثنتين :

اما ان يتمرد على القيم والناس والحياة ، واما ان ينزوي ويترك لهم حياتهم الى حياة افضل قد يجدها في العزلة وبين احضان الطبيعة، وذلك شان شاعرنا المرهف .

ان القصيدة الاولى « انا » تحكيعن حبهللحرية ونفوره منالخضوع:

نشأت حرا ابي النفس يدفعني — حبالعلى لهاوي التيه والعطب
اذا رأيت من الدنيا محاربة — شهرت في وجهها سيفا من اللهب
ومن يهن نفسه يوما الى احد — فانه ليس معدودا من العرب

وعن شاعريته تحدثنا قصيدته الثانية « انا والشعر » :

انا والشعر توأمان ولكن — كم براني وكم سقاني النجيعا

ليس لي عنه مهرب فاذا ما ... سرت عنه اليه رمت الرجوعا
انا لن اشتكي من الدهر بؤسا ... في حياتي ولو شربت الدموعا
غير اني لا ارتضي الضيم في العيش ولا اقبل الاذى والخنوعا
والاديب الصحيح يحيا ابيا ... ولغير الاله يـأبى الخضوعا

وفي قصيدته «اللحن الاخير» التي قالها وهوعلى سرير المرض، ومن عنوانها وظروفها يبدو التشاؤم ، ولكن الشاعر رغم تشاؤمه يبدو متمسكا بالحرية ، ناقما على من يرضون الهوان في سبيل الترف ورغد العيش :

انني عشت في الحياة كئيبا ... حتى اني سئمت مرأى الهوان
والذي يبتغي الرغادة في العيش يلاقي الورى بروح جبان
يشرب الضيم في خضوع ويجثو ... راكعا في معابد الاوثان
كيف يرضى الاديب في الدهر ان يحيا على الارض ميت الوجدان

وفي الديوان كذلك قصائد تتحدث عن الشاعر ولكنه حديث غير مباشر ، يبدو ذلك في قصائد التاملات واحاديث النفس ، التي يتضح منها تشاؤم الشاعر «وحيرته» وتردده بين السام ، وارادة الاعتزال ، والهروب الى عالم خيالي مجنح ، ويظهر ذلك بين سطوره ، وعلى رؤوس قصائده ، ففي قصيدته «حيرة» يقول :

حرت في هذه الحياة فلم اعلم الى اي مسلك انا سائر
قد سئمت الحياة ما بين قومي ... وتجنبت هزاهم والمساخر
انهم في ضلالهم ... يتفانون بجهل على حطام المآثر
فاتيت الشطآن أستهبط الالهام من جوها البديع الساحر

ثم يمضي في حلم رائع ، يعايش فيه سربا من العذارى ، يقبلن عليه ، ويغنين له .. لحظات وبعدها يتصاعدن الى السماء ويخلفنه للحسرة والالم :

واذا بي فوق الثرى والعذارى ... سابحات الى النجوم الزواهر
صاعدات الى السماء وقلبي ... في كهوف الاسى قتيل المشاعر
طينة الارض للتراب ولم تخلق ... لتحيا مع الضياء الطاهر

ثم يتلو ذلك عدد من القصائد تنم تسمياتها ومسمياتها عن هذا الاتجاه ، مثل « الامال الضائعة » و« السراب الضائع » التي يخاطب فيها السراب قائلا :

انت مثلي على الحياة مضاع ... وكلانا من دهره في اكتئاب
غير اني ياخادع الركب في أرضي ... مضاع وبين جل صحابي

والقصيدة التالية مباشرة عنوانها « ضياع » :

أحببت دنيا الليل وهي كئيبة ... وكرهت أضواء النهار الساطع
أنا شاعر مل الحياة لانه ... عشق الخيال وعاف صدق الواقع

فاذا ابتعد الشاعر قليلا عن ذاته الخاصة رايناه يتغنى بالحب ، وحبه شفاف محترق ، ينشد الخلوة والانفراد بحبيبه بين احضان الطبيعة بعيدا .. بعيدا عن دنيا الناس :

تعال لي في الروض عند الربا ... فهذه دنيا الازاهير لك
تعال لي لا عـازل بيننا ... ما حولنا غير نجوم الفلك
كل الروابي منك مفتونة ... تهش بالطيب لتستعجلك
أغار منها في الليالي اذا ... غنت من البشرى لتستقبلك
أغار حتى من نسيم الصبا ... ان حرك الفستان أو قبلك

ثم هو يهيم بالشراب والفتنة ، حتى ينتقل من العبث والمجون الى الجنون :

حسناء اني شاعر ... في الوهم احيا والظنون
فاذا ضممتك فوق صدري في جنون فاعذريني
فالشاعر الحساس متهم قديما بالجنون

وشعر الغزل عند الشاعر رقيق النسج ، عذب المعنى ، حلو النغم ، بريء من التكلف يكاد من البساطة يتنزل الى الكلام العادي بلا اسفاف:

ما أرى صدرا من المرمر للفتنة معقل
وفما حلوا وشعرا كسواد الليل مرسل
وعيونا سحرها الطاغي من الرحمن منزل
وقفت بي حيرتي خلف الزوايا اتأمل
ان أعصابي من فتنتها لا تتحمل

فاذا تلفت الشاعر الى مجتمعه ، واستمع الى هدير الشعب العربي الزاحف ، اجتذبته هموم الوطن، فلم يملكه الا ان يندمج في غمار الكفاح ، وأن يضم صوته الى صوت شعبه ، في البحرين موطنه المحدود الذي يقول فيه معتزا بقومه :

سالتني : انت يا شاعر من أي قبيل
ثم أصغت لي فاذكى حسنها الطاغي غليلي
قلت اني من بلاد كفرت بالمستحيل
من ربى (البحرين) دار العز والمجد الاثيل
من بلاد الدر والبترول والنخل الظليل
انا من قوم اذلوا البحر في الريح الهول

ثم في الوطن الاكبر شغلته ماساة فلسطين،فانطلق شعره هديرا ، يستحث الهمم ويخوض في غمار التاريخ .. تاريخ أمة عزيزة منتصرة على يد صلاح الدين ، ثم أمة مفرقة شتيتة الاهواء تمهد للنكبة ، ويريد ان يتسامى بالكارثة لتنتصر على نفسها ، ولكن تشاؤمه يغلبه ، ويعتصر قلبه ان يده مغلولة لا تستطيع انقاذ الوطن الشهيد المضيع :

يا فلسطين مذ غزتك الاعادي ... ما راينا الاعراس الا مآتم
كم شكاة غصت بحنجرتي حتى اذا فهت ضيعتها الهماهم
كلما قلت اجتلى طيفك اللماح قامت تمور في العزائم
فاذا رجلي المدماة في القيد وجرحي ما ضمدته البلاسم

وفي الجزائر يقول من قصيدة « الارض الملتهبة »:

شعب الجزائر قد تنزى ثائرا ... ليدك ما شاد البغي الايهم
ويزيل عن صدر البلاد أراقما ... باتت بقوت حياته تتحكم
شعب يشق الى الخلود طريقه ... ويعيد مجد جدوده ويرمم
من مثل ابطال الجزائر انهم ... رمز تعزيه البلاد وتعظم
ساروا على جثث الضحايا في الدجى سيلا يدك الشامخات ويحطم
فترجل التاريخ من آفاقه ... ليسجل المجد المؤثل عنهم

واخيرا اذا كانت موضوعية الديوان قد شغلتنا عن فنيته ، فلا يفوتني ان اثني على السلاسة والعذوبة اللتين اتسمت بهما معظم قصائد الديوان ، فالنغم الحاد ، والكلمات العذبة ، والظلال الرفافة تسود قصائده الغزلية والتاملية ، والجرس العالي ، والكلمات الهادرة تغطي أرض المعركة في قصائد الحماسة والوطنية ، والمهابة والجلال واضحان في شعر الرثاء .

وذلك توفيق يحمد للشاعر ، وان كانت كل قصائده تقليدية فلا ضير عليه ، لان الاطار ليس هو الهدف ، ولكن ما في داخل الاطار من عبارة ، وما وراء العبارة من نبضات حية هي هدف الشعر المعاصر .

ومع ذلك فنحن لن نتعجل الحكم على مدى توفيق الشاعر في القصيد وغير القصيد من الاشكال الفنية للشعر حتى نرى مسرحيته التي أعلن انها تحت الطبع ، نلمس مدى توفيقه فيها .

بقي أن أقول ان هذا الديوان يعتبر نغمة حلوة في لحن الشعر العربي الذي يتجاوب به الوطن العربي اليوم ، وانه خطوة في سبيل انطلاق الشعر في الجنوب العربي للحاق بركب التجديد في الشعر المعاصر .

ومن واجبنا ان نباركه ونشجعه ، ونترقب مزيدا من الانتاج لشعراء الخليج العربي الناهض.

القاهرة

رضوان ابراهيم



● المشرد – مجموعة شعرية – « ابو سلمى » عبد الكريم الكرمي – ١٣٨ صفحة – طبع في دمشق – (لم يذكر اسم المطبعة)

● في المايو وبورنيو الشمالية – تاليف عبد الرحمن ابو قوس – ٢٤٨ صفحة – مع صور – منشورات دار الوطن بحلب – مطابع جريدة الوطن في حلب

● الاسطورة في حياة الشعوب – تاليف المحامي عبد القادر عياش – ٣٢ صفحة – حجم كبير – طبع في دير الزور سورية – (لم يذكر اسم المطبعة)

● العالم ليس عقلا – تاليف عبد الله القصيمي – ٥٨٠ صفحة – حجم كبير – مطابع دار الغد (؟)

● دراسات في العقائد : الرأسمالية ، الاشتراكية ، الشيوعية ، الصهيونية – تاليف احمد الشيباني – ١٦٠ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد – (لم يذكر اسم المطبعة)

● علي والفلسفة – تاليف محمد جواد مغنية – ٢١٦ صفحة – منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد – (لم يذكر اسم المطبعة)

● زهرة في الوحل – قصة – تاليف مرغريت موندار – (لم يذكر اسم المترجم) – ١٦٤ صفحة – منشورات دار الكاتب العربي ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة)

● اغراء – مجموعة قصص – تاليف حسن فتحي خليل – تقديم محمود تيمور – ١٦٠ صفحة – منشورات مؤسسة المطبوعات الحديثة بالقاهرة – مطابع دار العهد الجديد للطباعة (؟)

● الراحل – قصة – تاليف مظهر الملوحي – تقديم احمد سويدان – ١٣٦ صفحة – منشورات مركز المطبوعات المسيحية ببيروت

● ... وارتفع الستار – ٩ مسرحيات – ترجمة سمير شيخاني – ٢٤٤ صفحة – منشورات دار السمير للطباعة والنشر (؟) – (لم يذكر اسم المطبعة)

● هذا العصر المتفجر : نظرات في واقعنا وواقع الانسانية – تاليف قسطنطين زريق – ١٩٢ صفحة – منشورات دار العلم للملايين ببيروت – مطابع دار العلم للملايين ببيروت

● نظام المشاركة او حقوق العمال وأصحاب المال – تاليف انور حداد دبلومه في العلوم الاقتصادية والمالية – ١٤٨ صفحة – منشورات دار الريحاني ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة)

● قصص من الياس المشتاوي : قصائد من – سليم مكرزل – ٦٤ صفحة – طبع في لبنان – (لم يذكر اسم المطبعة)

● الى شمس – مجموعة شعرية – قبلان مكرزل – ٦٤ صفحة – (لم يذكر اسم المطبعة)

● هنا اعدم الاسلام الرأسمالية – تاليف محمود نور الدين – ١٨٦ صفحة – مطبعة الاديب في حلب

● من قراءات الاجداد – ترجمة عثمان نويه – تقديم وتعريف عباس محمود العقاد – ١٣٦ صفحة – منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) – مطبعة مصر بالقاهرة

● العمل مع المتطوعين – تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية – ترجمة زهيان حنا بخيت – مراجعة وتقديم العميد سيد عبد الحميد مرسي – ٨٨ صفحة – منشورات دار القلم بالقاهرة – مطابع دار القلم بالقاهرة

● جمهرة اشعار العرب – تاليف ابي زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي – ٣٦٨ صفحة – حجم كبير – منشورات دار صادر ودار بيروت ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة)

● الامثال الشعبية في قلب جزيرة العرب – تاليف عبد الكريم الجهيمان – في ثلاثة اجزاء – الجزء الاول – ٣٩٢ صفحة – الجزء الثاني – ٣٦٨ صفحة – الجزء الثالث – ٣٥٢ صفحة – حجم كبير – مطبعة دار الكتب ببيروت

● سفينة حنان الى القمر – قصص قصيرة – تاليف ليلى بعلبكي – ١٩٢ صفحة – منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة)

● البستاني والياذة هوميروس – تاليف البدوي الملثم – تقديم عبد الرحمن بشناق – ٢٢٤ صفحة – حجم كبير – منشورات دار المعارف بالقاهرة – (لم يذكر اسم المطبعة)

● الطبيب الصغير – قصة للاولاد – تاليف ادفيك جريديني شيبوب – الغلاف بريشة فاروق البقيلي – ١٥٢ صفحة – منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت – مطابع سميا ببيروت

● الساعة والانسان – مجموعة قصص – تاليف سميرة عزام – مصمم الغلاف وضاح فارس – ١٢٠ صفحة – منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت – مطابع سميا ببيروت

● ومرت الايام – رواية – تاليف حامد دمنهوري – ٣٢٨ صفحة – منشورات دار العلم للملايين ببيروت – مطابع دار العلم للملايين ببيروت

● دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء – تاليف الشيخ رسول الكركولي – نقله عن التركية موسى كاظم نورس – ٣١٢ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد – مطبعة كرم ببيروت .

● خطرات فكر – تاليف سعد صائب – تقديم الدكتور ابراهيم الكيلاني – ١٤٦ صفحة – منشورات الفن الحديث العالمي (؟) – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● رسائل في حضارة البؤس – تاليف ندره اليازجي – ١٤٤ صفحة – مطابع الف باء ، الاديب بدمشق .



من اعمال الحلقة الدراسية في اسهام علماء العرب في العلوم النفسية والاجتماعية . (الجامعة الامريكية ببيروت ـ ديسمبر ١٩٦١)

الدراسات النفسية في سورية

بقلم الدكتور فاخر عاقل

رئيس قسم علم النفس بجامعة دمشق

شيء من التاريخ

معلوم ان مؤرخي علم النفس يعتبرون ان عام ١٨٧٩ ، وهو العام الذي انشأ فيه الفيلسوف ، عالم الفيزياء وعالم النفس ، الالماني فونت المخبر الاول لعلم النفس في مدينة لايبزغ في المانيا ، يعتبرونه العام الاول في عمر علم النفس الحديث .

ومعلوم ان هذا الاعتبار لا يعني ـ بطبيعة الحال ـ ان علم النفس لم يكن موجودا قبل هذا التاريخ . فعلم النفس قديم قدم الانسان على وجه هذا الكوكب ، ذلك بان الانسان منذ ان وعى هذا الكون ثم وعى نفسه واشباهه طرح على ذاته اسئلة عن ذاته وعمن حوله فكان علم النفس .

واذا كان لايعنينا ها هنا ان نفصل في كيفية اندماج علم النفس بالفلسفة وبقائه في كنفها حتى وقت متاخر جدا ، فانه يعنينا ان نذكر بان علم النفس ـ مثله في ذلك مثل غيره من علوم الانسان ـ لم يشب عن طوق الفلسفة الا في اخريات القرن الماضي ، وهذا هو السبب الذي حدا بمؤرخي علم النفس الى القول بان انشاء مختبر فونت السيكولوجي كان بداية تاريخ علم النفس الحديث .

ومرة اخرى اذا كان لا يهمنا في مقامنا هذا ان نسهب في وصف العوامل التي ابقت علم النفس في حجر الفلسفة وذكر الاسباب التي ادت الى دروجه خارج هذا الحجر ، فلا اقل من ان ننوه بان هذا الدروج انما كان نتيجة طبيعية لتقدم العلوم البيولوجية فالفيزيولوجية مما مهد للعلوم الانسانية امكانية تبني طرائق واساليب اقرب لطبيعة الانسان وأقدر على تمكينه من دراسة ذاته ومجتمعه واحواله .

واذا كان هذا حال علم النفس في بلاد الغرب التي سبقتنا النهضة فانه من نافلة القول ان نشير الى ان علم النفس ـ بمعناه الحديث والعلمي المحدد ـ لم يكن له وجود في بلاد العرب قبل هذا التاريخ . على اننا لا بد ذاكرون بان النهضة التعليمية في بلادنا السورية العربية انما ترجع الى مطالع هذا القرن العشرين حين حاولت الحكومة العثمانية اقتباس النظام التعليمي الافرنسي والمناهج التعليمية الافرنسية وادخال التعليم الحديث الى بعض اجزاء رقعتها الترامية بما في ذلك سورية ، وما نظن انه كان لعلم النفس آنئذ نصيب من العناية والرعاية ، وما نظن ان السوريين قد اسهموا فيه درسا او بحثا او حتى ترجمة واقتباسا بقليل او كثير . وعلى كل فاذا كان ثمة شيء من هذا القبيل فانه لم يصل الى علمنا مع الاسف .

واذن فلا بد من ان يقتصر بحثنا هذا على الفترة التي امتدت من بعيد الانتداب الافرنسي على سورية حتى وقتنا هذا . ولا بد لنا قبل الخوض في الحديث عما « أسهم به المؤلفون العرب في المائة سنة الاخيرة في علم النفس» وحين نقصر حديثنا على سورية ، نقول انه لا بد لنا من ان نتعرض بشيء من الوصف السريع لحال سورية العامي والثقافي والاجتماعي في تلك الحقبة من الزمن .

ما كاد الحكم العثماني يتقوض في سورية اثر هزيمة الاتراك في الحرب العالمية الاولى حتى اعلن استقلال سورية ونودي بفيصل بن الحسين ملكا عليها وسمي الاستاذ ساطع الحصري ـ اطال الله بقاءه ـ وزيرا للتربية والتعليم ، فكان اول ما عني به اعادة تنظيم التعليم عامة ودور المعلمين خاصة ، وكان طبيعيا ان تمتد عنايته الى الدراسات التربوية والنفسية ذات الاهمية المعروفة في اعداد المعلم وهذا هو المعلم الاول من معالم الطريق .

ثم اجتاحت جيوش غورو سورية بعد معركة ميسلون المشهورة واضطر الملك فيصل لترك البلاد وبدأ عهد الانتداب الافرنسي في سورية ولبنان ليمتد حتى عام ١٩٤٥ عام جلائهم عنها . وخلال هذه المدة كانت سورية تحت النفوذ الثقافي لفرنسا تعمل بنظمها التربوية وتقتبس مناهجها وتحضر معلميها ومربيها في جامعاتها ومؤسساتها وتترجم عن كتبها ومراجعها وتلتفت اليها في كل ما يتعلق بالتربية والعلم والتعليم .

ولا بد لنا قبل الانتقال الى المرحلة التالية من ذكر ملاحظتين هامتين في هذا الخصوص : اولاهما : ان سورية بوصفها جزء من المملكة العثمانية كانت متاثرة بالنفوذ الثقافي الافرنسي من قبل الاحتلال الافرنسي ، اثناء الحكم العثماني بل واثناء العهد الفيصلي القصير ، وثانيتهما : ان سورية ما زالت متاثرة بالثقافة الافرنسية وذلك بسبب ان الكثيرين من مثقفيها واهل الفكر فيها من الذين درسوا في الجامعات والمعاهد الافرنسية ما زالوا في مراكز القيادة الفكرية سواء في الجامعات السورية او وزارة التربية والتعليم او دور المعلمين او سواها من المؤسسات التربوية السورية .

هذا وبعد الجلاء عن سورية وتحررها من النفوذ السياسي الافرنسي التفتت الى المناهل الثقافية العالمية المتعددة فاوفدت الى كل من انكلترا واميركا وبلجيكا وسويسرة بل والاتحاد السوفياتي ، هذا بالاضافة الى ما اوفدته الى بيروت والقاهرة .

ولا بد لنا ها هنا من التنويه باستقدام سورية للاستاذ ساطع الحصري مستشارا تربويا ليعمل على اعادة تنظيم التعليم فيها وترسيخه على قواعد عربية تنسجم مع واقع البلاد من جهة وواقع الحال في البلاد العربية الاخرى من جهة ثانية ، كما لا بد من الاشارة الخاصة الى انشاء عدد من الكليات في الجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) عام ١٩٤٦ ، من بينها كلية للاداب فيها قسم للفلسفة وعلم الاجتماع يهتم بالدراسات السيكولوجية ، ومن بينها معهد عال للمعلمين (كلية التربية اليوم) يهتم بالدراسات السيكولوجية ، فيما يهتم به .

واذن فالمعلم الثاني من معالم طريقنا هو عهد الانتداب الافرنسي على سورية والدراسات السيكولوجية التي تمت اثناءه .

اما المعلم الثالث فهو عهد الاستقلال الذي امتد منذ الجلاء الفرنسي عن سورية يوم ١٧ نيسان عام ١٩٤٦ حتى اعلان الوحدة وما تم فيه من انشاء كليات جامعية جديدة تعنى في جملة ما تعنى به بالدراسات السيكولوجية على النحو الذي سنحاول وصفه فيما بعد .

واما المعلم الرابع فهو الوحدة وما تلاها من توحيد للتعليم الجامعي بين الاقليمين السوري والمصري ومن تبديل في التعليم الثانوي واعداد المعلمين وانشاء المجلس الاعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

والمهم بالنسبة للعهدين اللذين تليا الانفلات من ربقة الاستعمار

الفرنسي ان سورية حاولت امرين : اولهما : التحرر من النفوذ الثقافي الفرنسي وورود مصادر العلم في بلاد اخرى تتراوح بين الشرق والغرب، ولقد كان شأن علم النفس في هذا شأن باقي العلوم . وثانيهما : الالتقاء مع الاتجاهات التربوية والعلمية والثقافية في البلاد العربية الاخرى ، ولا سيما مصر والعراق ، وبطبيعة الحال فان علم النفس لم يشذ عن هذا الاتجاه .

ولو كان لنا ان نستخلص بعض الحقائق مما قدمنا من وقائع ومما يتصل بعلم النفس لاجملنا ما نستخلص فيما يلي :

١ ــ حتى آخر الحرب العالمية الاولى لم تكن الدراسات السيكولوجية في سوريا شيئا مذكورا .

٢ ــ اثناء الانتداب الافرنسي كانت الدراسات السيكولوجية محصورة في المدارس الثانوية ودور المعلمين وكانت مطبوعة بالطابع الفرنسي .

٣ ــ بعد الاستقلال امتدت هذه الدراسات الى الجامعة السورية وحظيت بعناية كليتين هما كلية الاداب (قسم الفلسفة والاجتماع) وكلية التربية . ولقد اخذت هذه الدراسات تتأثر بالمؤثرات الاخرى ولا سيما الانكلوسكسونية ، كما بدأت تتفاعل مع الدراسات المماثلة في البلاد العربية .

٤ ــ بعد الوحدة امتدت هذه الدراسات الى كليات اخرى ككلية الطب وكلية التجارة وقامت عليها لجنة التربية وعلم النفس في المجلس الاعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية . وفي هذه الاثناء ازداد التواصل بين الدراسات السيكولوجية في سورية ومثيلاتها في مصر .

خصائص ومميزات

على ضوء ما اسلفنا نتقدم الان لنبين خصائص الدراسات السيكولوجية التي تمت في سورية ومميزاتها . على اننا نحب قبل الشروع في تعداد هذه الخصائص والمميزات وتعليلها ان نذكر بان هذه الخصائص تتصل اتصالا وثيقا بواقع سورية في الماضي والحاضر ولا سيما واقعها الاجتماعي والثقافي والتعليمي ، وسنحاول ان نوضح ذلك فيما يلي :

(١) معظم الكتب والمؤلفات السيكولوجية في سورية ــ ولا سيما في العهد الذي سبق الاستقلال ــ وضع لغايات تعليمية وبصورة خاصة لتعليم علم النفس في القسم الثاني من البكالوريا السورية وفي دور المعلمين ثم في الصفوف الثانوية التي كان يدرس فيها علم النفس (على اعتبار ان هذه الصفوف اختلفت احيانا) وفيما بعد في الصفوف الجامعية من الكليات التي تهتم بتدريس علم النفس .

ومن الحق علينا ان ننوه هنا تنويها خاصا بكتاب الاستاذ الدكتور جميل صليبا (علم النفس) الذي بدأ طبعه منذ مطلع الثلاثينيات وظهر بشكله النهائي عام ١٩٤٠ ، ذلك بان هذا الكتاب كان اول كتاب حديث في علم النفس يظهر في سورية ويتناول بالبحث المفصل الدقيق الشامل كل ابحاث علم النفس المتعارف عليها آنئذ ، ولان مؤلفه الدكتور صليبا، بعلمه الغزير واطلاعه الواسع وتضلعه وتدقيقه العلمي ، شق طريقا في التأليف السيكولوجي وطرح للتداول عددا من المفردات التي كانت مفتقدة والتي ما زالت باقية في الاستعمال بوصفها خير ما يمكن التعبير به عن المفاهيم السيكولوجية العلمية الدقيقة .

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا بان كتاب الاستاذ العميد الدكتور صليبا كان بداية تاريخ علم النفس الحديث في سورية ــ على الاقل ــ واليه يرجع الفضل في كل تقدم تلاه ، كما ان كل المشتغلين بعلم النفس فيما بعد هم تلامذة الدكتور صليبا او تلامذة تلامذته ، امد الله في عمره وابقاه للعلم والفضل .

(٢) كان التأليف خلال كل هذه الفترات اقتباسا وترجمة وتلخيصا وتنسيقا مستمدا من مراجع اجنبية معظمها افرنسي ــ ولا سيما في الفترات الاولى ــ ثم افرنسي او انكليزي او اميركي فيما بعد .

ونحن لا نجد في هذا عجبا او غرابة ، ذلك بان هذه المؤلفات وضعت ــ كما اسلفنا ــ لاغراض تعليمية وفي مراحل ثانوية او معادلة لها (دور المعلمين) .

واذا كان صحيحا انه مضى حتى الان سبعة عشر عاما على انشاء كليتي الاداب والتربية (المعهد العالي للمعلمين سابقا) فان انشاء هاتين الكليتين لم ينجم عنه اكثر من ارتفاع مستوى التأليف ، اما البحوث المبتكرة والدراسات التجريبية فلم يكن اليها سبيل لاسباب منها ان الغاية التعليمية بقيت هي المسيطرة ، ومنها انشغال الاستاذ بالركض وراء لقمة العيش لانخفاض مستوى المرتبات الجامعية ، ومنها ان الدراسات السيكولوجية كانت وما زالت ملحقة بالدراسات الفلسفية او التربوية ، ومنها عدم توفر المختبرات والجو العلمي ، ومنها عدم توفر الاختصاصيين وغير ذلك من الاسباب والمبررات .

(٣) قام بعض السوريين ببعض البحوث السيكولوجية لكن ذلك قد تم في الجامعات الاجنبية ولغاية الحصول على الشهادات الجامعية والدرجات العلمية ، ثم عاد اصحاب هذه الشهادات الى بيئتهم المتواضعة الفقيرة وانشغلوا عن البحث والتجريب بالبحث عن موارد تقيم اودهم وأود عيالهم وقديما قيل (يجب ان نشبع لنتفلسف) .

(٤) معظم المقالات التي كتبها الكتاب السوريون في علم النفس انما كتبت للقارىء العادي ولذلك فهي سطحية سريعة ومبسطة ، على ان بعض المقالات ــ وهي قليلة العدد ــ التي كتبت كانت من مستوى رفيع ــ نسبيا ــ وقد نشرت في مجلات اختصاصية او شبه اختصاصية .

والعلة في هذا ما قدمنا من اسباب في الفقرة السابقة من جهة ــ وعدم وجود مجلة اختصاصية واحدة في العالم العربي تنشر البحوث السيكولوجية وتنشطها من جهة اخرى .

ان الحياة الاجتماعية والثقافية في العالم العربي عامة والجمهورية السورية خاصة ومستوى القارىء العربي لا تساعد حتى الان على وجود مثل هذه المجلة وما حديث « مجلة علم النفس » التي اصدرها الاستاذ الدكتور يوسف مراد ثم اضطر لايقافها بخاف او مجهول .

(٥) ولو اردنا ان نجمل ما قلنا عن الكتب والمقالات والبحوث السيكولوجية السورية لقلنا انها تتصف بعدم الاصالة والابتكار وتتسم بالنقل والترجمة ولا تقوم على اساس من بحث او اهتمام بالمشاكل المحلية وانها تعتمد على الاقتباس والترجمة ، وهي ــ بعد ــ اقرب الى النظر منها الى التطبيق العملي .

ومما يجدر ذكره ها هنا هو ان سورية لا تضم الا مختبرا واحدا لعلم النفس موجودا في كلية التربية بجامعة دمشق وهو مختبر ناقص وفقير ومهمل لاسباب ذكرت بعضها فيما سبق وامسك عن ذكر بعضها الاخر .

(٦) يفتقد الناظر في هذه الكتب والمقالات والبحوث الاتجاه الرياضي الاحصائي المعتمد اليوم في الدراسات السيكولوجية الحديثة ولا سيما في البلاد الانكلو سكسونية .

ولعل السبب في ذلك هو ما قدمنا من تأثر الدراسات السيكولوجية والدارسين السيكولوجيين في سورية بالافكار والطرائق الافرنسية التي كانت ــ الى وقت قريب ــ تضم علم النفس الى الفلسفة وتعتمد فيه على النظر اكثر من اعتمادها على العمل والاحصاء .

لكن من الملحوظ ان هذا الاتجاه قد بدأ بالتلاشي وان المؤلفات السورية بدأت تسير في الاتجاه العالمي .

(٧) ليس في سورية عيادات نفسية او محللون نفسيون او مراكز للتوجيه المهني او التربوي او النفسي ، ولم يدخل علم النفس بعد ميادين الصناعة او التجارة او الجريمة او الجيش . ومن هنا كان انعزال علم النفس عن الحياة وبعده عن التطبيق وعدم اتصاله بالمجتمع السوري .

(٨) ولعل انكى ما في الامر ان عناية المشتغلين السوريين بعلم النفس بتراثهم القومي في ميدان اختصاصهم مفقودة ، واذا كنا لا نحتاج الى التنويه بالتراث العربي الفني في الدراسات النفسية مما تزخر به كتبنا الفلسفية القديمة فاننا بأمس الحاجة الى توجيه عنايتنا واهتمام ناشئتنا الى هذا التراث الضخم في هذا الميدان السيكولوجي الهام والعمل على احيائه والتعرف عليه والتعريف به وهو واجب يترتب على كل مثقف عربي في كل حقل من حقول المعرفة .

(٩) لا يحتاج الناظر في نتاجنا السيكولوجي الى جهد عظيم او ذكاء شديد ليلاحظ ان عمل الاختصاصيين بعلم النفس في سورية لا ينظمه ناظم ولا يجمعه جامع ولا يوجهه موجه ، فلا جمعية ولا منظمة ولا مجلة ولا مؤسسة تهتم بعلم النفس وتجمع المشتغلين به وتنسيق جهودهم وتوجه عملهم .

(١٠) يلاحظ ان الكثير من المفردات والمصطلحات السيكولوجية التي يستعملها السوريون خاصة بهم غير معروفة في البلاد العربية او غير مقبولة فيها .

والواقع ان سورية في هذا ليست باسوأ من غيرها من البلاد العربية ، ولكن يلاحظ ايضا ان الكتاب السوري والمجلة السورية لا يصلان الى المدى الذي يصل اليه الكتاب او المجلة المصريين او اللبنانيين مثلا .

هذه اذن بعض الملاحظات السريعة التي توضح خصائص الانتاج السوري في علم النفس قدمناها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

قدر وتعليل

في الخصائص والميزات التي ذكرنا اشارات كثيرة الى اسباب هذه الخصائص وعلل هذه الصفات ، بيد ان شيئا من التكرار والتفصيل قد يكون مفيدا من اجل مزيد من الايضاح وتمهيدا لبعض المقترحات .

(١) لا شك في ان العمل السيكولوجي في سورية – بامكاناته المحدودة وظروفه الراهنة وغاياته الضيقة – نهض بواجباته ووفى بالتزاماته . لقد وفر للتلميذ كتابا وللقارىء العادي اطلاعا وللمدرسة المتخلفة تنويرا وللجمهور توعية .

وما كان لهذا العمل وللقائمين به – وحالهم على ما وصفنا – ان يقوموا باكثر مما قاموا به .

(٢) لاشك في ان النقص الفاضح الذي يتصف به هذا العمل هو اهماله البحث الاصيل المبتكر في حاجات البلد واحوال البيئة وواقع المجتمع . لكن المستوى الذي كان يتم فيه هذا العمل في الماضي ، نعني في المدارس الثانوية ودور المعلمين والمراحل الاولى من التعليم الجامعي (دون تخصص) ، نقول ان هذا المستوى – بالاضافة الى الاسباب الاخرى التي نوهنا ببعضها لم يكن يسمح باكثر مما تم .

(٣) المكتبة العربية تشكو فقرا مدقعا في المراجع السيكولوجية التي يستطيع التلميذ والقارىء والباحث العرب ان يعتمدوها في التوسع في علم النفس ودخول ميادينه المختلفة ، واذا كان الذنب في هذا لا يقع على المشتغلين بعلم النفس في سورية وحدهم فان تبرئتهم من هذا التقصير امر غير ممكن .

واذا اضفنا الى هذا ضعف طلاب الجامعات العربية بما في ذلك الجامعات السورية باللغات الاجنبية مما يعيقهم عن الرجوع الى المصادر الاجنبية وضعمنا يدنا على سبب اخر من اسباب تاخر الدراسات النفسية في البلاد العربية عامة والجمهورية السورية خاصة .

(٤) ليس في البلاد العربية كافة – بما فيها سورية – مجلة او نشرة دورية مخصصة للدراسات والبحوث النفسية . صحيح ان الكثير من المجلات العربية – ومنها السورية – تحرص على نشر بعض المقالات السيكولوجية ، وصحيح ان الكتاب السوريين يسهمون في هذا اسهاما بينا ، لكن الصحيح ايضا ان عدم وجود مثل هذه المجلة يبقي المقالات والبحوث التي تنشر في مستوى القارىء العام غير الاختصاصي .

ان الحين قد حان لوجود مثل هذه المجلات الاختصاصية في المستوى العربي الشامل على الاقل ، ولعل منظمة كالجامعة العربية وادارتها الثقافية تنتبه الى مثل هذا النقص .

وفي كل الاحوال فان من واجب الجامعات السورية والمجلس الاعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية ومن ورائها جميعا الحكومة السورية ان تعمل على توفير مثل هذه المجلة .

(٥) تفتقد المدرسة السورية الخدمات السيكولوجية التي تتوفر لسواها من مدارس العالم ، فليس في سورية روائز (اختبارات) للذكاء او مقاييس للقدرات والشخصية والمواقف ، كما انها خالية من اية عيادة تربوية مدرسية او نفسية . ولا يحظى فيها الطالب المشكل او الطفل العسر او الولد المتخلف باية عناية سيكولوجية .

ثم ان الامتحانات السورية ما زالت متخلفة من حيث الاسس العلمية التيتقوم عليها عن مثيلاتها في البلاد المتقدمة .

(٦) لا تفيد الصناعة او التجارة او المحاكم ، بما في ذلك محاكم الاحداث واصلاحياتهم ، او الجيش او سواها من المؤسسات السورية من خدمات علم النفس اطلاقا . ولعل الانكى من ذلك ان محاولات خاطئة ضالة مضللة تقوم في بعض هذه المؤسسات وحتى في المدارس والمؤسسات الاجتماعية عديمة الصلة بعلم النفس والافادة منه وهي – شهد الله – ابعد ما تكون عنه .

(٧) تترجم الكثير من الكتب السيكولوجية في سورية في نفس الوقت الذي تترجم فيه في البلاد العربية الاخرى وفي هذا جهد ضائع وعمل غير مثمر ، لاسيما وان الناشر السوري اعجز من ان يستطيع منافسة الناشر المصري او اللبناني ومن هنا كان من واجب الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية الاشراف على تنسيق حركة الترجمة هذه وتنظيمها بحيث توفر الجهود وتستغل خير استغلال بدلا من هدرها عن طريق الازدواج في العمل .

(٨) يتخرج الكثيرون من الاختصاصيين بعلم النفس من جامعاتهم وينخرطون في حياةتسيطر عليها الحاجة وقلة الدخل وعوامل التثبيط الاخرى فتخمد فيهم قدرتهم على البحث وميلهم الى الانتاج واهتمامهم بالمبادهة والابتكار . ومما له دلالته العميقة ان الكثيرين من كبار الاساتذة والمشتغلين بعلم النفس ينصرفون عن عملهم وبحوثهم ابتغاء العيش الكريم الذي لايتوافر لهم في محيطاتهم العلمية .

وهذا سبب يضاف الى اسباب – ذكرنا بعضها – لتتضافر جميعها على حفظ الانتاج في مستوى دنيء لا يبشر بنهضة اصيلة وتقدم سريع .

(٩) الناشرون العرب وفي جملتهم السوريون بحكم صفاتهم التجارية لا ينشرون من الكتب السيكولوجية -هذا اذا نشروا – الا الكتب التي تروج ، وهذا هو السبب في اكتظاظ السوق بالكتب الجنسية وكتب الزواج السعيد وكتب تقوية الشخصية وتقوية الذاكرة الخ.. اما الكتب الجدية فلا القارىء يرغب فيها ولا الناشر يخاطر من اجلها ولا الحكومات تعينها .

(١٠) لا تتوفر في معظم الجامعات العربية مستلزمات البحث

العلمي ومتطلباته وشروطه ، ولا تشذ سورية عن بقية البلاد العربية في ذلك . ولا بد في هذا الصدد من التنويه بافتقار الكاتب العربي في علم النفس لكثير من المفردات والتعابير المقابلة للمعاني الواردة في اللغات الاخرى .

ثم ان البيئة السورية لا تسمح حتى الآن — ومع الاسف — بالبحث العلمي الموضوعي في كثير من المجالات .

حلول واقتراحات

يجمل بنا — بعد الذي قدمناه من وصف وتحليل وقدر وتعليل — ان نتقدم ببعض الاقتراحات التي نعتقد ان فيها حلولا لما يعانيه علم النفس في سورية من وهن وتأخر .

على اننا نحب قبل ان نمضي في سرد هذه الحلول والاقتراحات ان نشير الى ان ما قلناه عن سورية ينطبق الى حد يقل او يزيد — من بلد الى بلد — على كل بلد عربي . والحق ان المشاكل في بلادنا العربية متشابهة والاوضاع متماثلة ولذلك فالحلول متقاربة .

وفي رأينا ان مسؤولية الحال السيء الذي يشكو منه علم النفس — في سورية خاصة وفي البلاد العربية عامة — تقع على عاتق جماعات ثلاث هي : (١) المشتغلون بعلم النفس (٢) واقع المجتمع (٣) الحكومة .

واذا كان لا يعنينا في مقامنا هذا ان نحدد نصيب كل منهم من المسؤولية وواجبه في العمل السريع ، فاننا نحب ان نشير — مرة اخرى — الى الحلقة المفرغة التي تلاحظ في مثل هذه الاحوال : مجتمع متاخر يعرقل التقدم ويحدد من قدرة القادة على العمل لتقدمه ، وقادة يكبلهم مجتمعهم وظروفه الراهنة بقيود لا يعملون على الانفكاك منها ، وحكومة (هي جزء من المجتمع) تعيش في متاهات مشاكلها العاجلة فتعجز عن الانفلات منها الى مهمتها في القيادة والرعاية والدفع .

ومن هذه المقدمة السريعة ننتقل الى ذكر بعض الاقتراحات التي تحمل — فيما نحسب — بعض الحلول للمشاكل التي ذكرنا :

(١) لا بد لتقدم الدراسات السيكولوجية في سورية من توفير عدد كاف من الاختصاصيين بمختلف فروع علم النفس ، وذلك عن طريق ايفاد العدد الكافي من المبعوثين الى البلاد المتقدمة في هذا العلم . كما لا بد من جعل علم النفس تخصصا مستقلا في الجامعات السورية ينصرف اليه الطالب ويتعمق فيه ويتوفر على الالمام بميادينه . ولا بد كذلك من استحداث دراسات عليا فيه .

وقد يكون من الضروري في اول الامر الاستعانة ببعض المتخصصين الاجانب الذين يستطيعون ان يقودوا خطوات العاملين المحليين ويعينوهم على وضع اسس بحوثهم .

(٢) لا بد من توفير امكانات العيش الكريم للمشتغلين بهذا العلم بحيث يستطيعون الانصراف اليه والحدب على دراساتهم وتجاربهم دون الحاجة الى التفكير في الغذاء والكساء والدواء وما اليها .

(٣) لا بد من توفير ادوات البحث ووسائل الدراسة من الات وادوات ومختبرات ومراجع علمية اجنبية ومجلات وسواها .

(٤) لا بد من توفير الجو المناسب للبحث العلمي بما في ذلك حرية القول والفكر والعمل . ومن الاهمية بمكان في هذا الخصوص تعاون المنظمات والمؤسسات والمعاهد العربية فيما بينها لا سيما وان المشاكل السيكولوجية في العالم العربي واحدة او متشابهة الى حد بعيد جدا.

كذلك من المهم اتصال الباحثين العرب بالباحثين الاجانب بقطع النظر عن جنسياتهم ومواطنهم (وفيما لا يضر المصلحة القومية بالطبع) وذلك بغية الوصل بين الدراسات العربية والدراسات العالمية .

ولا يفوتنا ها هنا التنويه باهمية ايجاد منظمات عربية للدراسات السيكولوجية تعمل على دراسة المشاكل المتصلة باختصاصها وتتعاون فيما بينها على ايجاد الحلول وتبادل الخبرات. ولعل اهم ما يجب ان تعمل عليه في البداية ايجاد لغة سيكولوجية عربية مشتركة .

(٥) لا بد من اعادة النظر في طريقة اعداد المشتغلين بعلم النفس في الجامعات والمؤسسات العربية . لقد كان هذا الاعداد متجها في معظم الاحوال وغالب البلاد العربية نحو مهنة التعليم ، لكن ميادين علم النفس المتسعة دوما وضرورة هذا العلم لكثير من حقول العلم والعمل اخرجته في ايامنا هذه من المدرسة الى العيادة والمعمل والمتجر والجيش والمحاكم ومؤسسات الاعلان واصلاحيات الاحداث وسواها ، ولذلك فقد آن الاوان لكي تعمل المؤسسات العربية على خدمة جميع هذه الميادين ، وان تغير طريقة اعداد الاختصاصيين بعلم النفس بحيث يستطيعون مواجهة المطلوب منهم وينهضون بالمهمة الملقاة على عاتقهم.

ومن نافلة القول ان نذكر بان اعادة النظر في الاعداد معناها اعادة النظر في البرامج والمناهج المتبعة في هذا الاعداد .

(٦) ويرتبط بماقدمنا في الفقرة السابقة امر هام جدا وهو توسيع مجالات العمل امام المتخصصين بعلم النفس والافادة منهم في مختلف الميادين التي يستفاد منهم فيها في كافة انحاء العالم المتمدين اليوم .

ونحب ان نشيرهنا الى حلقة مفرغة اخرى يدور فيها علم النفس في بلادنا العربية في الوقت الحاضر . ان معظم جامعاتنا تلتفت في تحضيرها للمتخصصين بعلم النفس الى عملهم التعليمي فيتخرجون

عاجزين عن القيام بأي عمل سواه ويكون من جراء ذلك ان تبقى الميادين الاخرى مغلقة في وجوههم !

اما لو رافق اعدادهم لميادين العمل المختلفة وعي المسؤولين لامكانية الافادة منهم في غير ميدان التعليم فان الطوق المضروب حولهم ينكسر وتتسع امامهم الافاق فيفيدون ويستفيدون .

(٧) ويتصل بهذا ايضا انشاءمعاهد لعلم النفس التطبيقي ولا سيما في مجال الصناعة ، ولعلنا لا نأتي بجديد اذ نذكر بان كل تقدم صناعي لا يرافقه توجيه واختيار مهنيين وتطبيق لعلم النفس على الصناعة تقدم يبقى ناقصا .

ونحن اذ نشير الى الصناعة فانما نذكر مجالا واحدا من مجالات عديدة المحنا الى معظمها .

(٨) على اننا لا نحب ان نترك هذا القسم الاخير من حديثنا قبل الاشارة الى واجب المشتغلين بعلم النفس العرب في سعيهم الىالارتقاء بانفسهم واعدادها الاعداد اللازم للنهوض بالمهمة الشاقة المتوجبة عليهم.

واذا كان صحيحا ان العوائق كثيرة والموانع خطيرة والظروف شاذة فانه صحيح ايضاان القصور تقع تبعته – في جملة من تقع عليهم – على المشتغلين بعلم النفس ذواتهم .

اما بعد فهذه عجالة حال علمالنفس في الجمهورية السوريةحاولت مخلصة ان تصف هذا الحال وان تذكر الخصائص والميزات ، وتنوه بالدوافع والاسباب وتقترح الحلول والمخارج ، وهي وان تناولت سورية بالحديث لكنها – في الواقع – كانت تومىء الى كثير من مشاكل علم النفس في البلاد العربية وخصائصهوطرق التقدم به .

هذا وقد ارفقنا بهذا الحديث قوائم مفصلة عن المشتغلين بعلم النفس – ممن نعرف – ومؤلفاتهم ومقالاتهم وبحوثهم .

(تاسف مجلة الاديب لعدم نشر الملحق المرفق بهذا البحث الذي تبلغ صفحاته ضعف هذا البحث وذلك لضيق المجال) .

ونحن وان كنا لا ندعي لهذه القوائم الكمال والاحاطة فاننا نزعم – مخلصين – اننا بذلنا فيسبيل كونها على هذا الشكل اقصى ما نستطيع من جهد . واذا كان من واجبنا ان ننوه ها هنا بالتعاون المشكور الذي من به علينا القسم الاكبر من الزملاء فلا بد لنا من ان نشير – للحقيقة وتقرير الواقع وبوصف هذه الخاصة مظهرا من مظاهر حال علم النفس في وقتنا الحاضر – الى ان بعض الزملاء احجم عن التعاون وصم الاذنين وحجب المعونة لاسباب نعرف بعضها ولا نعرف البعض الاخر .

ثم ان من واجبنا ان نشير الى كثيرين من المشتغلين بعلم النفس ممن خدموه وعملوا في حقله مددا متفاوتة ولم يخلفوا وراءهم اثارا مطبوعة ، الامر الذي يمنعنا من ايراد اسمائهم في قوائمنا ولكنه لا يعفينا من ذكر اسمائهم او اسماء بعضهم على الاقل من مثل : الدكتور خالد شاتيلا والاستاذ المرحوم سعيد البحره ، والاستاذ عبد السلام العبسي والاستاذ الدكتور كامل عياده ، والمرحوم الاستاذ حميد الانطاكي ، والاستاذ عبد الكريم زهور ، والاستاذ اديب اللجمي والدكتور جميل محفوظ ، والاستاذ انطون المقدسي ، والاستاذ احمد القادري وسواهم . ولعل جهلنا هو الذي حال دون تعرفنا على اثارهم كما اننا لا نشك في اننا لم نذكر اثار جميع من ذكرنا بعض اثارهم ولهم نؤكد ان السبب الوحيد هو عدم المعرفة .

وختاما فان من دواعي سرورنا ان نتقدم بالشكر الجزيل الى جميع من اعانوا على القيام بهذه الدراسة وساعدوا على اتخاذها شكلها الحاضر .

دمشق — فاخر عاقل